ظاهرة الصمت
في شعر أمل دنقل
ديوان (أوراق الغرفة ٨) أنموذجا

الدكتور

ماهر فؤاد إبراهيم الجبالي

الأستاذ المشارك بكلية العلوم والآداب بالقريات -جامعة الجوف
المملكة العربية السعودية
الأستاذ المساعد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ -
جامعة الأزهر

العدد الرابع والعشرون

للعام ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

الجزء السادس

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠٢٠م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

ظاهرة الصمت في شعر أمل دنقل ديوان (أوراق الغرفة ٨) أنموذجا

ماهر فؤاد إبراهيم الجبالي

قسم اللغة العربية ـ كلية العلوم والآداب بالقريات ـ جامعة الجوف ـ المملكة العربية السعودية .

قسم الأدب والنقد ـ كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بكفر الشيخ - جامعة الأزهر ـ مصر .

البريد الإلكتروني: kods.life@yahoo.com

الملخص

يفتح التشكيل البصري في الكتابة الشعرية أبوابا للحوار بين القارئ والنص، وصمت الكتابة يرمم الذاكرة المجروحة بالسكون الحكيم، الذي يقوم "الصمت " فيه بوظيفة تواصلية يحاول القارئ من خلالها قراءة ما لم يُكتب.

وتعد ظاهر الصمت (الاكتفاء أو البتر) من أبرز الظواهر التي شغلت حيزا مهما في الدراسات النقدية المعاصرة، ويمثل شعر "أمل دنقل " لونا من الألوان الشعرية التي برزت فيها هذه الظاهرة بشكل لافت؛ وهو ما جعلني أختار هذه الفكرة لتكون عنوانا لبحثي:" ظاهر الصمت في شعر أمل دنقل– ديوان (أوراق الغرفة ٨) أنموذجا "

ويحاول هذا البحث مقاربة نصوص أمل دنقل وبيان كيفية توظيفه لتقنية الصمت، واستخدام الفراغات والمساحات البيضاء في ثنايا قصائده في نقل المشهد النفسي ، وبيان علاقة هذه الظاهرة بإدهاش القارئ الذي يصمت أحيانا بصمت الشاعر ، والوقوف على تعانق ظاهرة الصمت بالمشهد المسرحي ، والبتر السردي ؛ وذلك من خلال عدة محاور ، نحاول من خلالها رصد معالم هذه الظاهرة ومقاربة دلالاتها ووظائفها ، وقدرتها في التأثير على المتلقي .

الكلمات المفتاحية : الصمت، البتر، الاكتفاء، الفراغ والبياض، أمل دنقل، أوراق الغرفة٨ .

ISSN 2356-9050 الترقيم الدولي
ISSN 2636 - 316X الترقيم الدولي الإلكتروني

حولية كلية اللغة العربية بجرجا
مجلة علمية محكمة

The phenomenon of silence in the poetry of Amal Dinkal Diwan (room papers 8) as an example

Maher Fouad Ibrahim Al-Jabali

Department of Arabic Language - College of Science and Arts in Qurayyat - Al-Jouf University - Kingdom of Saudi Arabia.

Department of Literature and Criticism - Faculty of Islamic and Arab Studies for Girls in Kafr El-Sheikh - Al-Azhar University - Egypt.

Email: kods.life@yahoo.com

Abstract

The visual formation in poetic writing opens the doors for dialogue between the reader and the text, and the silence of writing restores the wounded memory with wise silence, in which the "silence" has a communicative function through which the reader tries to read what was not written.

The phenomenon of silence (sufficiency or amputation) is one of the most prominent phenomena that occupied an important space in contemporary critical studies, and "Amal Danqal" poetry represents one of the poetic colors in which this phenomenon has emerged remarkably; Which made me choose this idea to be the title of my research: "The apparent silence in the poetry of Amal Dunqul - Diwan (room papers 8) as an example"

This research attempts to approach the texts of Amal Dongle and explain how he uses the technique of silence, the use of blanks and white spaces in the folds of his poems in the transmission of the psychological scene, and to explain the relationship of this phenomenon to the surprise of the reader, who sometimes silences the silence of the poet, and stand on the embrace of the silence phenomenon of the theater scene, and narrative amputation; And this is through several axes, through which we try to monitor the features of this phenomenon and the approach of its implications and functions, and its ability to influence the recipient.

Keywords : silence, amputation, sufficiency, emptiness and whiteness, Amal Dungul, room papers 8 .

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقدّمة

تعد الكتابة الإبداعية نوعا من المعارف المستندة إلى خبرة جمالية ، يستطيع الكاتب من خلالها خلق تشكيل فني متماسك مستخدما في هذا الخلق الرموز والصور والعلامات والعلاقات اللغوية والطرق المختلفة في الكتابة .

وظاهرة "الصمت" تؤدي دورا فعالا في بنية النص الشعري ،وفي طريقة الكتابة الإبداعية ، والصمت لم يرد في الشعر فقط تحت أسماء: "الاكتفاء ، والفراغ والبياض، "، وإنما وجدت هذه الظاهرة في الأعمال النثرية ، وأخذت أسماء مختلفة مثل " البتر السردي "في الرواية ، و"الصمت " في العمل المسرحي، يقول الناقد /عبد السلام المساوي: «إذا كان البياض صمتا، فإن هذا الصّمت ليس محايدا، ولا يدل على مطلقيته، إنه صمت وارد في سياق شعري، سواء أكان هذا البياض مؤكدا بنقط، أم مفروضا من خلال تموقع النّصّ في الصّفحة.» [١]

وسوف نركّز عملنا في هذا الدراسة على أشكال الصمت؛ باعتباره نسقاً حاضرا في الخطاب يُسهم في دفْع حركة النص ويوجّه الدّلالة بحسب سياق الحال، وذلك في شعر "أمل دنقل " [٢] من خلال ديوانه الأخير (أوراق

---

(١) البنيات الدّالة في شعر أمل دنقل، عبد السلام المساوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، , ١٩٩٤م، ص٤

(٢) تنظر ترجمته في :معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ،مؤسسة الرسالة ، جـ١/٣٩٦. سفر أمل دنقل ،تحرير /عبلة الرويني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م، أمل دنقل الإنجاز والقيمة ،المجلس الأعلى للثقافة – مصر ٢٠٠٩م، ص٤١ وما يليها، حوارات أمل دنقل ،إعداد/أنس دنقل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٣م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

الغرفة ٨)،الذي كتبة في فترة مرضه؛ فالغرفة (٨) هي الغرفة التي قاوم فيها مرضه قرابة عام ونصف في المعهد القومي للأورام في مصر ، من فبراير ١٩٨٢م إلى يوم رحيله في الحادي والعشرين من مايو ١٩٨٣م. (١)

أهمية الدراسة :

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تتناول نسقا جديدا من أنساق الكتابة الإبداعية، وهو نسق فرض نفسه على ساحة الشعر المعاصر بقوة؛ فالصمت من الشاعر بترك فراغات" نقاط " أو مساحات بيضاء، هو جزء من المشهد الشعري، وهو كلام معبر يتوارى خلف الصمت؛ وهذا يجعل القارئ يصمت بصمت الشاعر؛ ليفكر في مراده، وأحيانا يعمد الشاعر إلى هذا الصمت لكسر رتابة السرد الشعري من ناحية ، وإدهاش القارئ من ناحية أخرى .

ومن أهمية هذه الدراسة أن ظاهرة الصمت في شعر أمل دنقل رغم وضوحها؛ لم يقف أحد من الدارسين عليها إلا في إشارات متفرقة في بعض الدراسات النقدية المعاصرة؛ ومن هنا قد تكون هذه الدراسة من أول الدراسات التي وقفت عند هذه الظاهرة في شعر "دنقل" بشكل مستقل ومكثف.

إشكالية الدراسة:

تتمثل إشكالية هذه الدراسة في سؤال محوري، تتفرع عنه عدة أسئلة، تحاول الدراسة أن تجد لها إجابة، وهذا السؤال هو :

---

(١) أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة –بيروت ، مكتبة مدبولي بالقاهرة ، ط٢/١٩٨٥، ص٤١٣.

ما معنى أن يترك " أمل دنقل "متعمداً بياضاً أو فراغا علـــى الصّـــفحة الشعريّة التي حبّرها ؟! وما دلالة هذا الصمت الكتابي ؟

ويتفرع عن هذا السؤال أسئلة فرعية أخرى، منها:

- ما أشكال الصمت في شعر أمل دنقل؟
- ما فلسفة الصمت ودلالته في السياق الشعري عنده؟
- هل كان للصمت دور في جماليات القصيدة عند أمل دنقل ؟

منهج الدراسة:

-ستعتمد المعالجة التحليلية والنقدية فـــي الدراســـة علـــى المـــنهج السيميائي؛ حيث سنقوم بدراسة الصمت بوصفه علامة سيميائية؛ حيث إن السميائية تسعى إلى تنشيط البياض لإدراك ما وراه، وتبحث عن المســـكوت عنه. ومتخذا من الإجراءين :الاستقرائي، والتحليلي منطلقـــا للتعامـــل مـــع النصوص الشعرية ؛ لكي نقف على رصـــد الظـــاهرة فـــي ديـــوان (أوراق الغرفة٨) لأمل دنقل، ومن ثم نقوم بتحليلها ، وبيان أثرها في دلالة النص ، وعلاقة الصمت بنصية القصيدة .

تقسيم الدراسة:

تفرض طبيعة الشعر عند أمل دنقل أن تأتي الدراسة لظاهرة الصـــمت عنده في: مقدمة ، وتمهيد ، وعدة محاور ، وخاتمة ، وفهارس فنية .

المقدمة احتوت على التعريف بموضوع البحث وأهميته وبيان أهدافه، والمنهج المتبع، والدراسات السابقة، وتقسيم البحث.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وفي التمهيد: يأتي الحديث عن:

أ- تأصيل ظاهرة الصمت في الشعر العربي.

ب- (أوراق الغرفة ٨)سجلٌ لشاعر ينتظر الموت.

ثم تأتي محاور البحث على النحو التالي:

المحور الأول: عناوين الديوان بين الصمت والصوت

المور الثاني : الصمت وتحقيق التواؤم الشعوري.

المحور الثالث: الصمت والمفارقة التصويرية.

المحور الرابع: صمت الإحجام.

المحور الخامس: الاستفهام والصمت.

المحور السادس: الصمت والتكثيف الدلالي.

الدراسات السابقة:

- لعل أقرب دراسة فتحت لي آفاق الموضوع، وكيفية التحليل هي دراسة بعنوان: ظاهرة الصمت في الشعر الحديث، للدكتور / عبدالله بن سليم الرشيد ، وقد وردت في كتابه: "وقوفا بها -ثلاث ظواهر في الشعر العربي الحديث" الذي صدر عن الدار العربية للعلوم ناشرون ، ونادي المدينة المنورة الأدبي عام ٢٠١١م. وقد أفدت منها كثيرا ، وكانت متكأ لي في كثير من مواطن البحث.

- ومن الدراسات -المهمة-أيضا: دراسة: الانزياح الكتابي في الشعر العربي المعاصر (دراسة ونقد)، د/ على أكبر محاسني، ورضا كياني، بحث

منشور في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان الإيرانية بالتعاون مع جامعة تشرين السورية، العدد (الثاني عشر) لسنة ٢٠١٣م.

- مقالة بعنوان: بياض الصّمت وعودة الأيدي.. الشاعر المثخن بالجراح بين يدي العرافة، نجاح إبراهيم، الشبكة العنكبوتية، جريدة الوطن السورية، بتاريخ ٢٠١٦/٣/٣٠م، تحدثت فيها الباحثة –بشكل مختصر – عن فكرة البياض في شعر أمل دنقل .

- كتاب: سفر أمل دنقل، الذي حررته زوجه / عبلة الرويني ، وصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب عام ١٩٩٩، وفيه عدة عناوين تتعلق بديوان " أوراق الغرفة ٨" .

- دراسة: الصمت في نصوص اللا معقول –دراسة تحليلية نقدية ،سافر ة ناجي باسم الميالي، دكتوراه، جامعة بغداد - كلية الفنون الجميلة - قسم الفنون المسرحية،٢٠٠٤م.

- دراسة تتعلق بالشاعر أمل دنقل، وبظواهر متعددة في شعره، جاءت في كتاب: " أمل دنقل –الإنجاز والقيمة "

- وهو عبارة عن سلسلة أبحاث عن الشاعر، صدرت في هذا الكتاب عن المجلس الأعلى للثقافة في مصر ،عام ٢٠٠٩م.

- بحث: الصمت وضجيج السواد في القصيدة الجزائرية ، أقطي نوال ، منشور في مجلة كلية الآداب واللغات بجامعة سكرة .عدد(١٤/١٥) لسنة ٢٠١٤م.

- بحث: سيمائية البياض والصمت في الشعر العربي الحديث، إلجوة أحمد، منشور في الملتقى الدولي الخامس "السيمياء والنص الأدبي " في تونس، د.ت.

كانت هذه أبرز الدراسات التي وقعت عليها يدي ، وكان منها ما تناول ظاهرة "الصمت " بشكل مباشر في الأعمال الأدبية ، بيد أن واحدة منها لم تقف على دراسة الظاهرة في شعر " دنقل " بشكل مستقل ، إلا المقالة المختصرة التي أشرنا إليها ، وهو ما يجعل دراستنا من الدراسات الجديدة في هذا الجانب ، وكان منها ما تناول شعر "أمل دنقل " بالدراسة والتحليل ، لاسيما الديوان الذي اخترناه ؛ليكون عنوانا لبحثنا .

بيد أنه لا شك في أن هذه الدراسات السابقة – التي اخترت أبرزها – فتحت الباب أمام الباحث وأفاد منها في طريقة المعالجة البحثية ، وكانت رافدا مهما في خروج هذه الدراسة بهذا الشكل ، ويرجع الفضل – كما أشرت – إلى دراسة الدكتور / عبدالله الرشيد في طرق الباحث هذا الجانب من الدراسات النقدية الحديثة .

هذا وإن كان من فضل وتوفيق فهو من الله – جل وعلا – وإن كان من تقصير فمن نفسي ، ولكن حسبي أنني اجتهدت ، وأدعو الله ألا أحرم أجر المجتهد أصاب أو أخطأ

وعلى الله التكلان.

التمهيد

أ- تأصيل ظاهرة الصمت في الشعر العربي:

توظيف الصمت / البتر في بناء الشعر العربي قديم، ولكنه اتخذ عدة أشكال أبرزها ما يسميه البلاغيون "الاكتفاء "، وهو معدود من فنون البديع، بيد أنه جاء قبل ذلك في أنماط من الصمت، الذي سوغته طبيعة اللغة المنطوقة، لا طبيعتها المكتوبة كما هو في الشعر الحديث (١).

يقول "ابن حجة الحموي ": والاكتفاء هو أن يأتي الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر إلى ذكر المحذوف لدلالة باقي لفظ البيت عليه، ويكتفي بما هو معلوم في الذهن فيما يقتضي تمام المعنى، وهو نوع ظريف ينقسم قسمين: قسم يكون بجميع الكلمة، وقسم يكون ببعضها. والاكتفاء بالبعض أصعب مسلكا، لكنه أحلى موقعا، ولم أره في كتب البديع ولا في شعر المتقدمين، فشاهد الاكتفاء بجميع الكلمة كقول ابن مطروح:

لا أنتهي لا أنثني لا أرعوي ... ما دمت في قيد الحياة ولا إذا

فمن المعلوم أن باقي الكلام: ولا إذا مت؛ لما تقدم من قوله الحياة، ومتى ذكر تمامه في البيت الثاني كان عيبا من عيوب الشعر مع ما يفوته من حلاوة الاكتفاء ولطفه وحسن موقعه في الأذهان (٢).

ومثال الاكتفاء في الشعر القديم أيضا قول رؤبة بن العجاج:

قَالَتْ بَنَات الْعَمِّ يَا سَلْمَى وَإِنْ ... كانَ فَقِيرًا مُعْدِمًا قَالَتْ وَإِنْ...

---

(١) وقوفا بها ، عبدالله الرشيد ، ص١٢.

(٢) ينظر : خزانة الأدب وغاية الأرب ،ابن حجة الحموي، تح/ عصام شيتو، ط دار ومكتبة الهلال – بيروت ١٩٨٧م،جـ١/٢٨٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فقد اكتفى الشاعر على لسان سلمى بقولها: وإن، والتقدير: وإن كان فقيرا معدما، قال " البغدادي ": فيه حذف الشرط والجزاء معاً لضرورة الشعر والتقدير: وإن كان كذلك رضيته أيضاً. (١)

وقد أطلقت البلاغة: العربية على الصمت عدة أسماء كان من أبرزها :

" الاكتفاء ، الإيماء ، الإشارة ، التضمين ، إيجاز القصر، الإضمار ، التعريض ، التلويح ، التلميح ، الرمز الناسخ للأساطير، القياس الإضماري ، الإعراض عن الخصم ، التجاهل للخصم؛ قصد تعنيفه، والسخرية منه" فيغدو الصمت– من خلال هذه الألوان – صورة ماكرة تصد عن القضية المطروحة(٢) .

وإذا رجعنا إلى الأدب القديم نجد ألوانا من توظيف الصمت تختلف جمالا وبراعة وشاعرية ، منها قول بعضهم :

بالخير خيرات وإن شرا فا ... ولا أريد الشر إلا أن تا

يريد: إن شرا فشر ، ولا أريد الشر إلا أن تشاء...ففي قوله (فا) و(تا) صمت ، وهو في الموضع الأول أبلغ؛ لارتباطه بالتهديد ، وصمت المهدِد عما ينوي فعله أبلغ من التصريح، كما نجد في قولهم مثلا : (والله لئن قمت إليك ...) (٣)

---

(١) ينظر : خزانة الأدب، للبغدادي ، تح/محمد نبيل طريفي ، إيميل يعقوب ،ط دار الكتب العلمية –بيروت ١٩٩٨م، جـ٩/١٥

(٢) ينظر: كتابة الصمت ، أمينة الدهري، مجلة البلاغة والنقد الادبي ، عدد ١/ ٢٠١٤م، ص٢,٣.

(٣) ينظر: وقوفا بها ، عبدالله الرشيد ، ص١٣.

ولست مع الباحث" أحمد إلجوة" حين قال: إن الشعراء في العصر الحديث استلهموا فكرة بناء الشعر على الصمت من الغربيين [١]؛ فهذا الكلام ينفي وجود هذه الظاهرة في الأدب العربي القديم ، أليس قول امرئ القيس :

وحديث الركب يوم هنا وحديث ما ... على قِصره

أليس من ألوان الصمت المستحسن؟ فـ (ما) حشو مستحسن؛ أراد بها المبالغة في وصف الحديث بالحسن والجودة، وفيها صمت كثير ، وقد بلغ بترك صفة الحديث مالا يبلغه إثبات الصفات . [٢]

ويظهر توظيف الصمت من خلال (ما)–لكن بصياغة مختلفة – في قول النابغة الذبياني يرثي حصن بن حذيفة بن بدر:

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح

ولم تلفظ الأرض القبور ولم تزل نجوم السماء والأديم صحيح

فعمّا قليل ... ثم جاس نعيّه فبات نديّ القوم وهْو ينوح

فقوله: (عما قليل) يتضمن صمتا، ومنشد هذا الشعر –إن كان حاذقا – سوف يسكت قليلا بعد (عمّا قليل)؛ ليتنهد تنهّد الحزين المكروب، وهكذا تقتضي روح الأبيات، فالصمت هنا شكل جزءا من المعنى؛ إذ يشير إلى انتهاء معنى، وابتداء آخر. [٣]

إن الشعر بنية لغوية معرفية جمالية ، وتحليل بنية اللغة الشعرية يسمح بالكشف عن حيازة الشاعر الجمالية للعالم ،أي يسمح له بالربط بين

---

(١) ينظر : سيميائية البياض والصمت في الشعر الحديث، إلجوة أحمد ، ص١

(٢) ينظر: وقوفا بها ، عبدالله الرشيد ، ص١٤.

(٣) السابق، والصفحة.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

اللغة والرؤيا ،واللغة في الشعر غاية فنية بقدر ما هي وسيلة تؤدي معنى ، وتخلق فنا. (١) والانحراف أو العدول عما هو متعارف عليه في بنية الشعر اللغوية يفجر جماليات النص، ويكسر رتابة السرد الشعري، ويجذب المتلقي، ويحقق عنده عنصر الإدهاش.

وظاهرة الاكتفاء أو الكف في الشعر العربي القديم جاءت تحت ما سماه علماء اللغة: باب" الإضمار أو الحذف"، وقد أشار " ابن فارس " في "الصاحبي" إلى أن الإضمار من سنن العرب، ويكون على ثلاثة أضرب: إضمار الأسماء، وإضمار الأفعال، وإضمار الحروف (٢) .

وقد أشار إلى أن العرب تضمر الفعل فيشتبه المعنى حتى يعتبر فيوقف على المراد، ومثّل له بقول النابغة:

فإني لا ألام على دخول ولكن ما وراءك يا عصام

يقول: لا ألام على ترك الدخول؛ لأن النعمان كان قد نذر دمه متى رآه، فخاطب بهذا الكلام حاجبه(٣) .

ولا شك في أن الشعراء في أدبنا القديم وظفوا تقنية " الاكتفاء " التي تشير إلى لون من الصمت المقصود ، ومن نماذجه قول الفرزدق:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعز وأطول

(١) ينظر : الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر ، خليل الموسى ،مطبعة الجمهورية – دمشق، الأولى ١٩٩١م، ص٩٧.
(٢) ينظر : الصاحبي في فقه اللغة ، ابن فارس ، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، ط١/١٩٩٧م، ص١٧٦.
(٣) السابق، ص١٧٨,١٧٩.

وقد روي أن الطرماح بن حكيم سأله ساخرا: أعز من ماذا؟ وأطول من ماذا؟ وكأنه لم يرض ذلك الصمت الذي يتلو فعلي التفضيل،فقال الفرزدق – وقد سمع أذانا –: ألا تسمع ما يقول المؤذن (الله أكبر)؟ أكبر من ماذا؟[١]

فظاهرة "الصمت " في الشعر العربي القديم حاضرة، مع أنها لم تكن بهذا الوعي لقيمة الصمت، والفراغ والبياض في الكتابة الشعرية، إلا أنه من الإجحاف أن نقول: إنها ظاهرة مستحدثة لم يعرفها الأدب العربي إلا في العصر الحديث، بعد الاحتكاك بالأدب الغربي.

إن توظيف الصمت في الشعر العمودي يدل على أن فيه طاقة من التجدد والانفتاح ، وليس من الحق القول بأن الموسيقا الجديدة – وحدها – هي التي اتجهت نحو الانفتاح المستمر ، وأن نظام البيت الشعري القديم نظام مغلق . إن الزعم بأن الموسيقا الخليلية مغلقة عن مثل هذا النمط من التجديد يدل على فهم ضيق لوظيفة الإيقاع؛ لأن الإيقاع وعاء لا يحُدُّ المشاعر ولا يكبتها ، ولا يضيّق المدى الذي ينطلق فيه الشاعر . [٢]

أماالصمت في الدراسات الأدبية الحديثة فهو يمثل الوجه الثاني للملفوظ المختفي تحته. [٣]

وقد خاض الشعر الحديث ألوانا من التجريب الفني في المضمون والشكل ، وجنح الشعراء – في غمرة الكلف بالجديد – إلى المغامرة الواعية حينا، وغير الواعية في أحيان كثيرة .

---

(١)ينظر : وقوفا بها ، ص١٦,١٧.

(٢)ينظر : السابق ، ص٣١,٣٢.

(٣)ينظر :الصمت في نصوص اللامعقول، سافرة ناجي ، ص١٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولا شك في أن أرق التجديد يظل متقدا ، حتى يدفع الشاعر المبدع إلى مدى رحب ، ولكنه – على رحابته– قد يصبح مأزقا تضيع فيه الموهبة ، ويحار فيه الصوت ، فيرتد الشعر شيئا هلاميا ، لا ظل ولا صدى . (١)

وتوظيف (الصمت) في الشعر الحديث ناتج عن أسباب كثيرة ، لعل أبرزها في هذا العصر شعور المبدع بأن الشعر لم يعد ذا منزلة كبرى مثلما كان من قبل ؛فقد زوحم وخبا ضوؤه ، وفترت حماسة متلقيه ، فكان الانزياح إلى التكثيف خيارا استراتيجيا في التعامل مع الكلمة الشعرية .(٢)

وقد جاء التشكيل البصري للكتابة الشعرية في العصر الحديث؛ ليفتح أمام القراء أبواب الحوار مع النص. ويمثل البياض أو الفراغ–الذي يتركه الشاعر عمدا–لونا من الصمت يقتضيه أحيانا الموقف، أو يرتبط بنفسية الشاعر هروبا من التصريح ،أو محاولة لتحقيق عملية استثارة القارئ. لكن هذا يتوقف على مقدرة الشاعر في توظيف الصمت ، وتوظيف التشكيل الكتابي ، أما هؤلاء الذين يتلاعبون بهذا البياض أو بتقطيع الكلمات دون جدوى حقيقية؛ فهذا مما يعد انحرافا عن الإبداع، يمجّه الناقد ، وترفضه الذائقة.

ولابد من الإشارة إلى فرق جوهري بين الصمت في طريقة (الاكتفاء) في الشعر القديم ، والصمت في الشعر الحديث ، فالاكتفاء يكون بتوظيف كلام يعلم السامع الفطن العارف ما سُكت عنه ؛ ولذا صار مجاله ضيقا ، ودور القارئ في غالبه إكمالٌ ومسايرة لمراد الشاعر ، أما الصمت الحديث

(١) ينظر : وقوفا بها ، ص٢١
(٢) ينظر : السابق ،ص٥١.

فهو عن كلام لا يعرف القارئ كنهه في كثير من الأحيان، ولأجل هذا يختلف الرأي في تفسيره ، ويكون للمتلقي حياله دورٌ أكبر. (١)

وفي الشعر الحديث والمعاصر ألوان من توظيف تقنيات الصمت في الكتابة الشعرية ، وهي ألوان من الإبداع التي يقف القارئ أمامها موقف المعجب ، ولا يملك آنذاك إلا التصفيق للشاعر ، ودونك قصيدة أحمد مطر" المتكلم" التي يجري فيها محادثة غريبة بين رجل التحري والمتهم الأبكم ،فيعدد فيها المحقق عدة تهم تعتمد على قدرته في الكلام ، وعجز الأبكم المتهم عنه؛ ليبرز من خلال " التنقيط / الصمت " استحالة قدرة المتهم الأبكم عن الدفاع عن نفسه ،أو ردّ التهم الموجه إليه (٢)، يقول مطر :

إن ملفك هذا متخم

هل عندك أقوال أخرى؟

لا تتكلمْ؟

دافع عن نفسك أو تعدمْ

لا تتكلم؟

افعل ما تهوى لجهنم

شُنق الأبكمْ (٣)

---

(١) ينظر : السابق ص١٧.

(٢) ينظر : الانزياح الكتابي ، ص١٠٢

(٣)الأعمال الشعرية الكاملة، أحمد مطر، دار صفا للنشر والتوزيع، ص٢١٠,٢١١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فأحمد مطر هنا يعمد إلى استخدام الفراغ " التنقيط " من أجل التعبير عن عجز المواطن العربي عن مواجهة أدوات القمع السلطوية التي تتفنن في تزوير الحقائق وتلفيق التهم للأبرياء. (١)

إن الأبيات الصامتة تأتي ليتنفس القارئ الصعداء ، ويعرف أن في موضع الصمت شيئا مختزلا ، كان يمكن أن يضاف إلى النص في أبيات، أو سطور كثيرة . (٢)

ودونك صورة أخرى للصمت في الشعر الحديث قول " بلند الحيدري":

أنا لا أذ..... نحن نذكر إن كنا التقينا

وهو هنا لا يريد بالصمت إلا أنه انقطاع وتلعثم، أو أنه إضراب عن ضمير المفرد إلى ضمير الجمع ، وهو صمت قوي متلاحم مع بناء النص ، وقد قال قبله :

كان صمتٌ بيننا يسخر منا

كان ودّ ميّتٌ بين يدينا

لم نقل : إنا .....

ولكنا انتهينا

وافترقنا

أنا لا أذ..... نحن لا نذكر إن كنا التقينا

---

(١) ينظر : الانزياح الكتابي ، ص١٠٢

(٢) ينظر : وقوفا بها ، ص٢٤

فقد جاء بكلمة (صمت) صريحة، ثم نحاها ورمز إليها مرتين، في قوله (لم نقل إنا ...) و(أنا لا أذ....) ، فتناسق البناء اللفظي مع الدلالة المعنوية ، ويرفع من قيمة الصمت أيضا قوله : (ودّ ميّت) الذي يُلمح إلى دلالات تتماهى مع المعنى الكلي . (١)

إن التشكيل المكاني أو التنقيط – في كثير من الأحيان – أضحى دالا يحيل إلى النفس وانفعالاتها، ويعبر عن حالات التوتر الإبداعي. (٢)

لقد أصبح الصمت في القصيدة الحديثة جزءا من بنائها ، وصار يشكّل مساحة من جسد النص معينا على صنع الدلالة المعنوية الكلية التي يريد النص إيصالها ، ومظهرا عنصر التوقع الذي يبرز الفاعلية التي يشكلها التفاعل الخلاق بين القارئ والنص . (٣)

ولا نستطيع أن نستبعد دور المسرح في ظهور "الصمت " في الشعر الحديث؛ ففي الفن المسرحي يوجد ما يسمى (المنظر الصامت) كما لا نستطيع أن ننكر أن للاتصال بالآداب الغربية أثرا في الاستجابة لهذا النوع من التعبير؛ ففي الشعر الألماني تبرز ظاهرة (الكرسي الشاغر) وهو نوع من صمت الشاعر عن بعض أفكاره. (٤)

ومن الشعراء الذين التفتوا إلى مثل هذه الظواهر، ووظفوها في أشعارهم (بدر شاكر السياب)؛ فقد استخدم "البتر الشعري " في قوله:

---

(١) ينظر : وقوفا بها ، ص٢٨

(٢) ينظر : الانزياح الكتابي ، ص١٠٣

(٣) ينظر : وقوفا بها ، ص٢٥

(٤) ينظر : السابق ،ص٥١.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

(سأهواك حتى ...) نداء بعيد

تلاشى على قهقهات الزمانْ

ثم يقول:

(سأهواك حتى ... سـ ...)يا للصدى

أصيخي إلى ساعة النائية

(سأهواك حتى ...) بقايا رنين

تحَدّين دقاتها العاتيةْ

تحدّين حتى الغدا

(سأهواك) ما أكذب العاشقين!

(سأهوا...) نعم تصدقين .

فبلاغة (البتر)هنا من كونه يعبر عن حالة من الحالات التي تجابهنا أحيانا ، سواء في حالة حمى عاتية ، أو عند وفاة شخص عزيز دون مقدمات ... في مثل هذه الحالات يصدف أن تتردد في أذهاننا عبارة مهمة ، تنبعث من أعماق الشعور ، وتطاردنا مهما حاولنا نسيانها ، والتهرّب من صداها في أعماقنا ، وكثيرا ما تفقد العبارة المتكررة معناها ،وتستحيل في الذهن المضطرب إلى مجموعة أصوات تتردد آليا دون أن تقترن بمدلول ، ومن ثم فهي معرضة لأن " تنبتر " في أي جزء منها ، وفجأة حين ينشغل العقل الواعي بفكرة طارئة يفرضها العالم الخارجي، فتصحي المصدوم من ذهوله لحظات ، ولكن سرعان ما تعود العبارة الدامية حتى يخف الانشغال بما هو خارجي ، وترن في السمع ،إنه تكرار لا شعوري لا يد لنا فيه .

وهذا هو الذي يبرر وقوف بدر شاكر السياب عند الألف في كلمة (سأهواك) وكأن الصوت قد انبتر فجأة ، ودفع دفعا إلى التلاشي .[١]

بيد أنه تجب الإشارة إلى أن بعض المتشاعرين حاولوا توظيف (الصمت/البتر) في أشعارهم؛ مجاراة فقط أو مسايرة لنزعة التجديد ، دون تبصّر بدوره أو مكانه الصحيح في النص ؛ فجاءت تجاربهم ركيكة ؛ لأنهم لم يحسنوا سياسته ، وأخرجوا الإبداع عن مدارجه .

وهؤلاء المتشاعرون أسرفوا في ملء النصوص بالنقاط؛ فكان له أثر سيء: اضطرابا في البناء، ومغالطة في كتابة النصوص، فزاد ذلك من حدة الرفض لهذا النمط الجديد، الذي يمكن للشعرية الحديثة الواعية أن تستثمر طاقاته؛ لمزيد من الألق والتجديد [٢].

(١) نقلا عن : التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، د/ بدوي طبانة، ط ٣ – دار المريخ ١٩٨٦م، ص٢٢٤,٢٢٥.

(٢)ينظر : وقوفا بها ، عبدالله الرشيد، ص٥٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ب- أوراق الغرفة (٨)؛ سجلٌ لشاعر ينتظر الموت.

إذا كان الزمن هو الناقد الأهم والعامل الحاسم في الحكم على نتاج الشعراء والمبدعين، فإن المرء لا يجافي الحقيقة بشيء إذا اعتبر أن "أمل دنقل" هو أحد الشعراء القلائل الذين نجحوا في امتحان الزمن، وتمكنت نصوصهم من الرسوخ بثبات في ذاكرة القراء والمتابعين على المستويين: المصري، والعربي؛ ففي حين كان النسيان جاهزاً لتلقف العشرات من مناظري الشاعر، فإن العشرات من نصوص أمل دنقل، لا تزال نابضة بالحياة، وقادرة على الإفلات من أسر اللحظة العابرة لمعاينة عراك الإنسان العربي بوجه خاص، مع نفسه من جهة، ومع محيطه وسلطاته القامعة وقدره المأساوي من جهة أخرى (١).

وقد صدر ديوان " أوراق الغرفة ٨" (٢) بعد أربعين يوما من رحيل صاحبه الشاعر " أمل دنقل " الذي لقي ربه في الحادي والعشرين من شهر مايو ١٩٨٣ عن عمر يناهز ثلاثة وأربعين عاما؛ حيث ولد في الثالث والعشرين من يونيو ١٩٤٠. وهذا هو الديوان الخامس للشاعر؛ حيث صدرت له أربعة دواوين من قبل هي: البكاء بين يدي زرقاء اليمامة عام ١٩٦٧، وتعليق على ما حدث عام ١٩٧١، ومقتل القمر عام ١٩٧٤، والعهد الآتي عام ١٩٧٥، وكان الشاعر قد قضى السنوات الثلاث الأخيرة في صراع مرير مع مرض عضال (السرطان) انتصرت فيه روح الشاعر

(١)ينظر : أمل دنقل ،التمرد على السائد والمغامرة الجمالية ، شوقي بزيع، مجلة الشرق الأوسط الإلكترونية ، العدد (١٤٤٢٨)، ٣٠ مايو ٢٠١٨م.

(٢)ينظر : الأعمال الكاملة ، أمل دنقل ،دار العودة –بيروت ، مكتبة مدبولي – القاهرة ، ط الثانية/ ١٩٨٥م، ص٣٥٧.

التي تألقت عبر شعره ، واستسلم الجسد وغاب ؛ ليكون موته ميلادا جديدا للشاعر يتكشف فيه القراء حجم العطاء الفني الذي جادت به موهبته(١).

وفي عمله الأخير «أوراق الغرفة رقم ٨» الذي كتبت معظم نصوصه في المستشفى، تبلغ تجربة أمل ذروة شفافيتها ونقائها التعبيري والروحي. ليس ثمة مكان هنا للغة الصاخبة والغضب من تردي الواقع، بل تصفية حساب مع الحياة، واستعداد للعبور إلى الضفة الأخرى. والكتابة هنا تشتغل على خط الدمج بين مصير الكائن الفرد وبين المآلات المماثلة للأشياء والكائنات، كما في قصائد «زهور» و«الطيور» و«الخيول» (٢) التي تهدى إلى المرضى، وتحمل «اسم قاتلها في بطاقة». وإذا كان ثمة شبه واضح بين تجربتي المرض لدى بدر شاكر السياب وأمل دنقل، إضافة إلى شبه آخر في الشكل والملامح، فإن الثاني -مدفوعاً بأنفة وكبرياء نادرين-لا يحول معاناته إلى فرصة للنواح والتفجع وطلب الاستغاثة، بل إلى أسئلة ممضة عن مغزى وجودنا العابر على الأرض (٣).

وإذا كان المرض قد وضعه ولأول مرة بشكل مباشر أمام إدراك حتمية مصيره، وأن المداراة والمناورة أمام هذا المصير محدودة للغاية؛ فقد حاول بروح الشاعر الشجاع أن يشحذ أسلحته، وأن يخوض معركته ناظرا في عيني الموت بثبات ومرارة ؛ ولهذا فقد اختلط في لوحته الشعرية الألم بالمرارة بالسخرية، وكان فيها يصر على شيء واحد، وهو رفض الانكسار أمام الموت الذي أسماه" الرخّ" في قصيدة " ديسمبر" حينما قال:

---

(١)ينظر : سفر أمل دنقل ، عبلة الرويني، ص٤١١.

(٢)ينظر : الأعمال الكاملة ، أمل دنقل ص٣٧٠,٣٨٣,٣٨٧.

(٣)أمل دنقل، التمرد على السائد والمغامرة الجمالية، بتصرف يسير.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ها هو الرخ ذو المخلبين يحوم..

ليحمل جثة ديسمبر الساخنة

ها هو الرخ يهبط ..

والسحب تلقى على الشمس طرحتها الداكنة (١)

ركض عُمْر أمل دنقل نحو هوة الموت، وهو في ريعان شبابه ، كما ركضت جياد أخرى مثل بدر شاكر السياب، وصلاح عبدالصبور، وصالح الشرنوبي، وخليل حاوي ... وغيرهم (٢).

وقد استطاع أمل دنقل من خلال مقدرته الشعرية أن يقدم لنا نماذج متباينة ومتكاملة للإنسان المعاصر – على نحو ما سنرى في الدراسة – تتكشف من خلالها أبعاد همومه ومعاناته على مستوياتها المختلفة (٣).

وقد اتخذ (الصمت / البتر) في شعره عدة أشكال على نحو ما سنرى في محاور الدراسة.

---

(١)ينظر: سفر أمل دنقل، ص٤١٢، والقصيدة بالأعمال الكاملة ، ص٣٨٠.

(٢)ينظر:السابق، ص٤٤١.

(٣)ينظر: السابق، ص٤٦٠.

المحور الأول

عناوين الديوان بين الصمت والصوت

تنوعت عناوين ديوان " أوراق الغرفة ٨" بين الصمت والصوت؛ حيث نجد أن بعض العناوين شكَّل الصمت فيها عنصرا فعالا، فعنوان الديوان (أوراق الغرفة ٨) نفسه به حذف، وهو دال على الصمت، وهو عنوان من نمط الجملة الفعلية، فعله محذوف تقديره: أقدم لكم، أو من نمط الجملة الاسمية: (هذه أوراق الغرفة رقم٨)

ومن العناوين التي اشتملت على الصمت عنوان قصيدة " ضد من؟ "[١] وهو عنوان يطرح سؤالا، والاستفهام هنا له دلالة قصدها الشاعر تتبين عند قراءة القصيدة ، شكل الصمت فيها دعوة للتفكير في مراد الشاعر" ويمكن أن نبني أفهاما مختلفة حول ما يريد الشاعر إيصاله من خلال القراءة المتأنية في النص، وقد يكون اللجوء إلى علامات الترقيم أو الصمت إيذانا بالعجز عن عنونة الأثر الشعري ، وذلك جزء من معنى يُراد أن يقف القارئ عليه "[٢]، وبعض النقاد يرى أن التساؤل في عنوان القصيدة يعد مدخلا جيدا لتحليلها ؛ لأنه يثير الانتباه ، ويدعو إلى ترقب الجواب ، وهو يحمل معنى الحيرة إزاء قضية من القضايا الإنسانية التي تؤرق فكر الشاعر[٣].

وهو ما نراه في القصيدة التي يطرح الشاعر فيها التساؤل مستخدما الصمت، فيقول:

ضد من ...؟

ومتى القلب – في الخفقان – اطمأن ؟!

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص٣٦٨.

(٢) مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي، عبدالله بن سليم الرشيد ، نادي القصيم الأدبي ،ط الأولى١٤٢٩/٢٠٠٨، ص٥٣,٥٤،

(٣) السابق ،ص٣٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وهو يقصد الموت الذي يحدّق فيه، ويقترب منه، مقررا حقيقة واقعة المضطرب الذي عبر عنه بخفقان القلب ، وهذا التساؤل الذي يفضي ببحثه الدائم عن الراحة التي لم يجدها .

وعنوان القصيدة يقوم على حذف الجملة: ضد من يقف الزمن؟ أو ضد من يقف الإنسان؟

و من العناوين التي تشتمل على الصمت في ديوان دنقل: العناوين التي جاءت اسما مفردا وهي (زهور، السرير، ديسمبر، الطيور، الخيول) (١) وهذه العناوين دالة على الصمت بما تشتمل عليه من حذف ؛ حيث إنها قد تكون خبرا لمبتدأ محذوف ، أو مبتدأ وخبره محذوف.

"والعنوان / الاسم من أبسط الأنواع في العناوين من حيث انتماؤه للغة الشعر ، وعناء الشاعر في صياغته ، ويغلب عليه أن يكون تعريفا بالمضمون ، أو إشارة صريحة للموضوع "[٢]

ومن العناوين التي شكّل الحذف فيها صمتا عنوان " لعبة النهاية " وهو عنوان تأملي " والعنوان التأملي غالبا ما يكون صدى لنفس قلقة، أو حزينة، وهو كثير عند المتأثرين بالمذهب الرومانسي "[٣] وفيها يقف الشاعر أمام سني عمره المنصرمة ، والحسرة على ما آل إليه مصيره .

وقد وقف أمل دنقل في هذه القصيدة على صورة الموت الذي يترقب الناس بكل أشكالهم وأعمارهم؛ يترقبهم كالصياد الماهر الذي لا يفلت فريسته، يترصد لهم في الميادين والحدائق وعلى شواطئ البحار، وجاء

(١)الأعمال الكاملة ، ص٣٧٠,٣٧٢,٣٧٨,٣٨٣,٣٨٧.
(٢) السابق، ص ٢٣
(٣) السابق ص ٢٣

الصمت في هذه القصيدة – كما سيرد في ثنايا البحث – مشكلا اندهاشا عند الشاعر ولّد اندهاشا عند القارئ، وطالع قوله:

يغرس الناب في موضع القلب:

تسقط رأس الفتى في الغطاء

وتبقى الفتاة ...

محدقة

ذاهلة ...! (١)

فالصمت هنا بهذا الفراغ، وتوزيع علامات الترقيم؛ يصور حالة من الترقب والدهشة، ترقب من يرى حيوانا مفترسا يغرس نابه في جسد إنسان، ولا يستطيع أن يدفعه عنه، ولا يملك إزاء هذا الموقف المأساوي المرعب سوى الوقوف مشدوها صامتا لا يستطيع الحراك وينتظر دوره دون مقاومة.

بينما نجد بقية العناوين في الديوان تشتمل على " الصوت " بأسلوب مباشر ، وغير مباشر ، مثل :(مقابلة خاصة مع ابن نوح، خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين، بكائية لصقر قريش ، قالت امرأة في المدينة، إلى محمود حسن إسماعيل في ذكراه)

والصوت هنا مسموع كما في عناوين: (خطاب غير تاريخي، وقالت امرأة في المدينة) وقد يدل العنوان على الصمت دون نص كما في: مقابلة خاصة مع ابن نوح، وما تشمله المقابلة من حوار، وبكائية لصقر قريش، وما يشمله العنوان من صوت البكاء والنحيب، أو إلى محمود حسن إسماعيل، وما يشمله العنوان من إهداء وصوت وحوار أيضا.

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص٣٧٦,٣٧٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فبعض القصائد لا تحمل صمتا بل صوتا، مثل: قالت امرأة في المدينة، خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين وقد جاء مضمون كل منهما محملا بدلالة الصوت، بينما نجد النص نفسه تحت العنوان مليئا بدلالات الصمت.

فقصيدة: (قالت امرأة في المدينة) فيها حذف للمفعول به (مقول القول) كما أن الحذف يحيل ضمنا – ولا شعوريا – للنص القرآني وما يحمله النص المقتطع من دلالة (الآن حصحص الحق) وكأنه يقول إن ما تقوله هذه المرأة هو الحق. كما أن الصمت لغة قد تكون قليلة في حياة النساء، فهل الاستعمال هنا مقصود؟

أقول: إن الشاعر هنا يكاد يكون قاصدا بالفعل لهذه الرؤية، النساء – غالبا – لا تحب الصمت ، لكن ليس المقصود هنا ذلكم الصوت النسائي الذي يصدر– أحيانا – في صغائر الأمور دون وعي وإدراك ، وإنما المرأة هنا رمز لصوت الحق الذي لا يعرف الصمت ، هي تقول الحق ، وهذا يتناسب تماما مع قصد الشاعر لهذا التضمين " قالت امرأة..." الذي يتوافق في هذا القصد مع قوله تعالى " قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق"[١]

وهذا العنوان الذي اعتمد الشاعر فيه على التضمين من النص القرآني، وهو من العناوين التي تثير الانتباه وتدعو إلى التأمل ، وقد استخدم الشاعر في القصيدة الصمت بشكل لافت ، وهذا ما يشير إلى هذه الثنائية المقصودة بين صوت العنوان ، وصمت النص ؛ فالعنوان يتكلم بصوت مرتفع، وهو صوت الحق ، لكنه لا يستطيع الاستمرار ، ربما خوفا من التنكيل والبطش في هذه الساحة التي ينعى فيها النخوة العربية ، وربما

(١) سورة يوسف ، الآية (٥١)

لعدم قدرته على البوح ألما وحسرة جعلت أنفاسه تتقطع وهو يتحدث على لسان هذه المرأة .

وطالع قوله:

قالت امرأة في المدينة :

من يجرؤ الآن أن يخفض العلم القرمزي

الذي رفعته الجماجم .

أو يبيع رغيف الدم الساخن المتخثر فوق الرمال

أو يمد يدا للعظام التي ما استكانت

(وكانت رجالْ....)

كي تكون قوائم سائدة للتواقيع

أو قلما

أو عصا في المراسم ؟

....

لم يجبها أحد....

غير سيف قديم ....

وصورة جدْ! [1]

فهذه المقطوعة الأخيرة من القصيدة محملة بدلالات الصمت، الصمت بالاستفهام الطويل الذي طرحه الشاعر توبيخا واستنكارا لحال الأمة العربية التي تناست ماضيها ، ولم يتبق من هذا الماضي إلا السيف القديم ، وصورة الجد/ رمز الماضي

(١) الأعمال الكاملة ، ص٤٠٦,٤٠٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد عمد الشاعر إلى استخدام تقنية البيت الصامت بعد الاستفهام ، وهو مساحة من الصمت المختلط باسترجاع الماضي ، والتحسر عليه في آن، وتلحظ أنه وضع عبارة :(وكانت رجال..) بين قوسين وجعل اللام ساكنة، وفي هذا دلالة مقصودة للحبس والتقييد، ثم الصمت بنقاط التوتر بعد قوله: (لم يجبها أحد... غير سيف قديم ...) مساحة من انتظار الإجابة يعيشها المتلقي مع الشاعر في صمته.

وهذا الاستنتاج أيضا ينطبق على قصيدة " خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين " [١] التي ينعى فيها الشاعر الجماعة العربية، وقد استسلمت لآلامها وجراحها ، وتنكرت لماضيها العريق عاجزة عن الفعل والحركة[٢] .

إن هذا التنوع في العناوين بين الصمت والصوت يشير إلى الثنائية المحققة التي حاول الشاعر إثباتها في ديوانه الأخير، وهي ثنائية الاستسلام/ والمقاومة ؛فقد حاول أمل دنقل في ديوانه الأخير مواجهة المرض والموت .

ومن الظلم للشاعر أن نحصر فكرة المرض في مرضه الذاتي؛ لأنه كان يتحدث عن مرض الأمة، وهو يتحدث عن نفسه، لقد كان مصير الأمة هاجسا يؤرقه، ومن ثم كان حديثه عن المرض حديثا عن الأنا/ والآخر، والآخر هنا هو الجماعة العربية دون شك، ومن هنا تنوعت دلالات الصوت/ رمز المقاومة ، والصمت / رمز الاستسلام أو الحسرة أو الإحجام عن الاسترسال؛ خوفا من البطش .

---

(١) الاعمال الكاملة ، أمل دنقل، ص٣٩٧،وما يليها.

(٢) ينظر : سفر أمل دنقل ، ص٤٧٥.

المحور الثاني

الصمت وتحقيق التواؤم الشعوري

يعد الانزياح الكتابي نوعا من علاقة غريبة في جسد القصيدة من خلال العملية الإبداعية في تمزيق أوصال الكلمة الواحدة، أو تفتيتها، أو تقنية الفراغ أو النقاط في جسد النص الشعري ... وبهذا النوع من الانزياح تخرج القصيدة الحديثة من شكلها المألوف والمتعارف عليه إلى التعبير بالظواهر الجديدة التي لها صلة باللغات والنقاط والأشكال؛ وهو ما يضفي أبعادا جمالية ودلالية في جسد القصيدة. (١)

وقد أصبحت الصفحة الشعرية في الشعر العربي الحديث بمثابة الحيز الذي يقع فيه التفاعل بين الأنا والعالم، فحركية النص الشعري على الورق تطوع الطبيعة لحركة الذات، وتجسد الحركة الداخلية للذات الشاعرة، وهذا يدل على إدراك الذات الشاعرة تغير المجال التواصلي بين المسموع والمرئي. (٢)

بعد أن حسم الصراع – بين أمل دنقل والموت– لصالح الموت ، تناثرت أوراق الغرفة (٨)وهي الغرفة التي أقام فيها أمل دنقل مدة إصابته بالسرطان في المعهد القومي للأورام ، حتى اللحظة التي توقف فيها قلبه عن الخفقان عام ١٩٨٣م، فانغرست مخالب(الرخ) في أعماقه ومضى ،ثم جمعت تلك الأوراق وصدرت في ديوان يحمل اسم الغرفة التي كتب فيها ، وحملت في معظم قصائده وقصائد أخرى متفرقة صورة الموت التي ينقلها

(١) ينظر : الانزياح الكتابي في الشعر العربي المعاصر ، ص٩٠.

(٢) ينظر : التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث ، ص١٥٢.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

لنا أمل دنقل بصوت الحكيم أو المشاهد المحايد الذي دفعه هاجس الموت إلى التأمل الجواني في الكون اللا محدود ، والتجربة الحياتية التي عاشها ؛ فتتداعى إلى مخيلته صورة الرحلة /الحياة ، فتأتي صورة الطفولة[١] :

هل أنا كنت طفلا ..

أم أن الذي كان طفلا سواي؟

هذه الصور العائلية ...

كان أبي جالسا ، وأنا واقف .. تتدلى يداي!

رفسة من فرس

تركت في جبيني شجًا ، وعلّمت القلب أن يحترس.

أتذكر ...

سال دمي

أتذكر...

مات أبي نازفا.

أتذكر...

هذا الطريق إلى قبره...

أتذكر...

أختي الصغيرة ذات الربيعين.

لا أتذكر حتى الطريق إلى قبرها

المنطمسّ[٢]

---

(١) ينظر : بناء القصيدة عند أمل دنقل ، إعداد /ابتسام محفوظ ، ماجستير في كلية الدراسات العليا –الجامعة الأردنية ،١٩٩٣م،ص٥٤.

(٢) الأعمال الكاملة ،ص٣٦٠,٣٦١،

ما الذي يمكن أن تحتمله هذه المشاهد الصامتة داخل النص؟ إن الشاعر من بدايته يصف مشهدا نفسيا بامتداده الدلالي، وترك هذه المساحات البيضاء ، والنقاط (الفراغ) ؛ ليصور حالة الشعور بالفناء والموت، وما يرافق هذا الشعور من استدعاء الذكريات والمشاهد ، فالبيت الأول كان امتدادا دلاليا لما قبله /الإحساس بالرحيل ، ؛لذا جاء بالفعل الماضي "كان " في قوله : كان طفلا ، ثم بدأ يسترجع ذكريات هذه الطفولة في مشهد يمتزج فيه الصمت بالوجع ، كما يمتزج فيها صمت القارئ بصمت الشاعر في قوله: (أتذكر...) وما يتبعها من صمت ، يتمثل في هذه النقاط ، فالكلمة هنا، والصمت بعدها يتناسب مع حالته الوجدانية ويتواءم مع شعوره الحزين في هذه الصور التي يسترجعها وهو يشعر بالرحيل ؛ ولذا نجده يكرر موقف الصمت في عدة أبيات، وهو يكرر كلمة " أتذكر .." ولك أن تتخيل صورة إنسان يسترجع ذكرياته قائلا: إنني أتذكر ويصمت ، لتذهب نفسك مع ذكرياته كل مذهب، وتعيش معه لحظات من المشاركة الوجدانية والتصور الكامل لمشهد ذكرياته في لحظة صمته هذه.

وعودا على بدء إلى مطلع القصيدة، وهذا الاستفهام الذي يعقبه الصمت :

هل أنا كنت طفلا ..

ولم يضع الشاعر علامة الاستفهام وإنما ترك المساحة التي تشير إلى الصمت والتي تمثلت في (نقطتي التوتر).

إن علامات الترقيم ليست ترفا كتابيا زائدا كما قد يتبادر إلى أذهان بعض القراء، وإنما هي مكسب تاريخي مفيد للتواصل الإنساني، وضرورة

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

حتمية اقتضاها انتقال الإنسانية التدريجي من ثقافة الصوت والأذن إلى ثقافة العين والكتاب (١).

والبتر الذي حدث في النص، الذي تمثل في "نقطتي التوتر " ونعني بنقطتي التوتر: وضع نقطتين أفقيتين بين مفردتين أو عبارتين أو أكثر، من عبارات أو مفردات النص الشعري بدلا من الروابط النحوية. وقد ابتكرت نقطتا التوتر في الشعر العربي الحديث ووظفت في إطار التلقي البصري؛ لحسم الجدل بين الشفهي والمكتوب من خلال دلالتها البصرية على توقف صدر المنشد مؤقتا بسبب التوتر الذي يدفعه إلى إسقاط الروابط النحوية (٢).

وقد وضعهما الشاعر بعد قوله: هل أنا كنت طفلا .. ؛ فنجد أنه توقف قليلا عن إكمال الجملة؛ ولذا لم يضع علامة استفهام ، وهذا الصمت يشير إلى لون من التوتر الشعوري ، الذي جعل الشاعر يقدم هذا الاستفهام الغريب فيقطع رتابة السرد ويبدأ بداية غريبة ، ويعمل الصمت الذي حل محلة "نقطتا التوتر " على تحقيق نقل الإحساس بالتردد والتحسر في آن ، وكأنه يقول وهو في مرضه : أين هذه الأيام ، وتلك الذكريات ؟ ، ويجيء استكمال المشهد بعد صمت الشاعر :

أم أن الذي كان طفلا سواي؟

ويعود مرة أخري إلى الصمت: هذه الصور العائلية .. / نقطتا التوتر

ثم يترك مساحة بيضاء قبل البيت الذي يليه ويقول:

كان أبي جالسا، وأنا واقف .. تتدلى يداي!

---

(١) ينظر : التشكيل البصري في الشعر العربي الحديث ، ص١٩٩.

(٢) ينظر : السابق ،ص٢٠٤.

وتشعر مع هذا الصمت المتكرر أن الشاعر يصمت ليبكي، كمن يحكي مشهدا مؤثرا أو حدثا مؤلما وهو يذرف الدموع، ولدلالة الفعل الماضي هنا وقع آخر يجسد موقف الاستدعاء، ولعله وضع نقطتي التوتر بعد قوله: (وأنا واقف..)؛ ليعكس بالصمت دلالة الثبوت الذي لازمه ، والذي يحيط به في غرفة مرضه .

وأنت تلحظ أنه استخدم نقاط الحذف/ نقاط الاختصار بعد كلمة "أتذكر... " وهذه العلامة من علامات الترقيم تشير إلى أن هناك بترا أو اختصارا في الجملة.

وقد كرر الشاعر كلمة " أتذكر " أربع مرات في النص، واستعمل نقاط الحذف بعد كلمة " أتذكر... " عند ورودها للمرة الأولى في النص ، والنقاط هنا امتداد لدلالة الاستدعاء ، ويظهر الاتصال اللغوي بعد الصمت في قوله " سال دمي " ثم العودة إلى (نقطتي التوتر)في المرات التالية (أتذكر ../ مات أبي نازفا) ؛ فالصمت هنا عمل على إدهاش القارئ ؛ حيث جاء الخبر غير متوقع ، فالشاعر هو الذي جرح ، وهو الذي سال الدم منه ، لكنه الشاعر يفاجئنا باستكمال غير متوقع (مات أبي نازفا) ، فالألم انتقل من الابن إلى أبيه ، إن الذي تألم ومات نازفا هو الأب ، فالصمت هنا صاحبه لون من التوتر ، كأن الشاعر انقطع عن الكلام، ولم يستطع أن يستكمل وكأن صمته بكاء (أتذكر .. مات أبي نازفا)، فالصمت هنا /الفراغ وتقطيع النص بعلامات الترقيم؛ حقّق للقارئ مساحة ليتخيل المنطوق المسكوت عنه، فيحقق بذلك قراءة أخرى للنص، وتأويلا مختلفا، فيمارس القارئ متعة التأمل عند صمت المبدع، ثم يورد المبدع مراده فيتحقق الإدهاش.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وقد جاء الصمت أيضا في النص موحيا بحالة الشاعر النفسية؛ وذلك في قوله:

أتذكر..

أختي الصغيرة ذات الربيعين.

لا أتذكر حتى الطريق إلى قبرها

المنطمس

فهذا الفراغ الذي تركه قبل كلمة المنطمس يعكس حالته النفسية، فقد صمت طويلا بعد كلمة قبرها، وهذا الصمت يتناسب مع حالة الحزن على أخته صاحبة الربيعين. بيد أنك تلحظ أنه جاء بالتضاد بين قوله " أتذكر، لا أتذكر " وهذا التضاد يعكس هنا حالة التوتر بين التذكر والنسيان، وتصوير هذه الحالة أضفى على المشهد ظلالا من الحزن الذي عبر عنه الشاعر، وهو يعكس حالته النفسية وقدرته العقلية على الاستدعاء ورفض الاستدعاء أو عدم القدرة عليه؛ بسبب ما هو فيه من مرض. والصمت بعد كلمة قبرها له دلالة تؤكد أن الموت كان له حضور طاغ في معظم قصائده، وتذكره للقبر وهو في غرفة مرضه كان يستلزم هذا الصمت، ولذا فلا عجب أن يأتي وصف القبر بأنه (المنطمس) الذي اختفت معالمه ليس في الحقيقة وإنما في ذهن الشاعر، وكأنه يحاول التفلت من وقع تذكر القبر فيسكت، وحاول طمسه في ذاكرته؛ ليخفف من وقع التذكر. ولعل ما يدعم هذه الرؤية هو قول " جابر عصفور " عن بعض قصائد دنقل: "وتنتهي أي قراءة فاحصة لهذه القصائد إلى أنها محاولات للانتصار على الموت، وانتزاع الحياة من براثنه" (١).

(١) قصيدة الرفض –قراءة في شعر أمل دنقل ، جابر عصفور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١/٢٠١٧م، ص٣١٣.

بيد أن هناك رؤية أخرى لـــ (أحمد طه) في هذه القصيدة؛ حيث يـــرى أن "دنقل" لا يتذكر فيها غير " العالم المعادي " الذي ألقي فيه، ولا ينتقي من مفردات الطفولة المتفجرة بالحياة سوى (أبيه الميت، أختـــه الميتـــة. دمـــه السائل، وموت أبيه نازفا، والقبور، والأصدقاء الموتى...إلخ)

وهذه المفارقة الشاملة أو الموسعة، التي تجمع بين الموت والطفولة، البداية والنهاية، هي التي تـــنظم الإيقـــاع، والرمـــوز، والعـــوالم الداخليـــة والخارجية، ضمن حالة شعرية يمثل الموت معلمها الرئيس، الذي يحـــاول " أمل " تأصيل وجوده في القصيدة، محتفظا في كل حالة بصـــوته الخـــاص، ووجوده الحي، كطرف فاعل في القصيدة، يعاشر الموت، ويعايشـــه وجهـــا لوجه [١].

وبما أن علينا أن نسافر في ذاكرة الشاعر؛ حتى نســـتطيع الإمســـاك بقانون تجربته، وحل طرفي هذه المعادلة الموجعة: الشاعر /التجربة. فإننـــا نعترف أن أمل دنقل كان شاعر الرفض – كما سماه صديقة جابر عصفور – وكان شاعر العدمية –كما أطلق عليه أحمد عبد المعطي حجازي، لـــم يكـــن عبثيا، ولم يكن متفائلا، والشعر عنده هو بديل الانتحار [٢].

لقد ظل يموت كل يوم في ثلاثين عاما من الشعر، ومنـــذ أن عرفـــت الكلمات طريقها إلى قلبه، فلم يكن الشعر بالنسبة له خلاصا كما كان بالنسبة إلى صلاح عبد الصبور، ولم يكن صلاة كما كان بالنسبة لأحمد عبد المعطي حجازي، ولكنه نقيض الحاضر ونفيه، هو العهد الآتي على أنقاض الحاضر، وتضاريسه الموحشة والباعثة على الموت أبـــدا، هـــو الـــرفض الـــواعي

(١) ينظر: سفر أمل دنقل، ص٤٢٨.

(٢) ينظر : السابق ، ص٢٣٢ ،٢٣٣.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والتجاوز النبيل؛ لأن الانتحار هنا لا يعني الهروب، بل يعني الاحتجاج، والموت هنا لا يعني العدمية، بل يعني التجاوز والتواصل والامتداد [١].

لقد كان رفضه في " لا تصالح " و"العهد الآتي " وغيرهما فعلا خلاقا؛ لا يرضى بما هو كائن أو واقع، وإنما يبحث عما يجب أن يكون، وما ينبغي أن يقع [٢].

ولو رجعنا إلى الورقة الأخيرة التي عنونها بـ " الجنوبي " وكانت آخر ما كتب في غرفته وعند ترتيب الديوان بعد وفاته تم وضعها في أول الديوان؛ لتكون دالة على ما في الديوان من تجارب؛ فهي العتبة الثانية بعد العنوان، هي الأيقونة الرئيسة للمضمون الشعري في بقية الديوان. لقد جاءت في بداية الديوان كتلويحة ذراع من هذا الجنوبي الذي جاء من صعيد مصر، واستقر به المقام في القاهرة ليفارق الحياة منها.

يقول أمل دنقل في قصيدة " الجنوبي ":

ولم يتبق من السنوات الغريبة

إلا صدى اسمي ..

وأسماء من أتذكرهم –فجأة–

بين أعمدة النعي ،

أولئك الغامضون : رفاق صباي.

يقبلون من الصمت وجها فوجها ..

فيجتمع الشمل كل صباح

لكي نأتنس[٣].

---

(١) ينظر : سفر أمل دنقل ، ص٢٣٢ ،٢٣٣.

(٢) ينظر : قصيدة الرفض ، جابر عصفور ، ص١٠.

(٣) الأعمال الكاملة ، ص٢٦١,٢٦٢.

إن الصمت هنا يعكس لنا السياق النفسي الذي كتب فيه الشاعر قصيدته، وقد أدت فيه علامات الترقيم دورا مؤثرا، فالصمت بعد قوله :(إلا صدى اسمي ..) امتداد لدلالة التلاشي، التي آزرتها كلمة "صدى" ثم نجد نقطتي التوتر بعد كلمة " اسمي" إمعانا في تصوير هذا التلاشي والرحيل.

إنه يصور في الأبيات التالية حالة من التوتر النفسي في هذا الاستدعاء؛ فلا يتذكر إلا اسمه وأسماء من رحلوا قبله ممن يقرأ عنهم في صفحات النعي، وهذا الترابط بين اسمه وبين ما يستدعيه يصور لك صورة الموت، وهي تداعب مخيلته، وقد تماهى الشاعر مع هذا الموقف فرآهم مقبلين من الصمت الذي يملأ عليه أرجاء غرفته، وطالع قوله: (وجها فوجها ..) وهذا الصمت الذي عبرت عنه هذه النقاط وهذا الفراغ، وكأنهم يعرضون على ذاكرته شخصا شخصا ، وهو يقف متذكرا حياته وذكرياته معهم، ألا ترى أن صمته هنا يعد أبلغ في التعبير من الكلام؟ وقد عبر في قوله (فيجتمع الشمل كل صباح / لكي نأتنس.) عن صورة أخرى من التوتر الشعوري الصامت، وقد جاءت جملة " كل صباح "؛ لتشير إلى ترقب الموت للشاعر، ومداعبة مخيلته مع كل إشراقة شمس، وقد صور الصمت هذا الشعور الأسيان أبدع تصوير بهذه "النقطة " بعد قوله نأتنس. فالصمت هنا وانقطاع الكلام، يهيئ لانتقال المعنى من استدعاء الذكريات إلى الشعور المؤكد بالرحيل، وإلا فكيف يكون الأنس بالأموات ؟!

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المحور الثالث

الصمت والمفارقة التصويرية

تعددت التعريفات والتنظيرات لمفهوم المفارقة ، ولعل من أوجز التعريفات لها تعريف ناصر شبانة؛ حيث قال : إنها انحراف لغوي يؤدي بالبنية إلى أن تكون مراوغة وغير مستقرة .بينما وسع "بسام قطوس " مفهومها لتشمل" السخرية، والغمز، والهزء، واللذع، والقبض على التناقض، والهجوم على المستكن الراقد، وخرق السنن، فالمفارقة كما يقول: ظاهرة أسلوبية وبلاغية وفنية، لعبة لغوية غاية في المهارة والذكاء، إنها رسالة ترميزية تقوم شعريتها على جدلية قائمة بين مبدعها (الصائغ الماهر) الذي يفتح بناءها المغلق على قراءات متعددة أو دلالات معينة، وقارئها الذي يحاول الوصول إلى هذه المعاني بفك شفرتها البنيوية [١].

والمفارقة: طريقة في الأداء الفني مختلفة تماما عن الطباق والمقابلة، سواء من ناحية بنائها الفني، أو من ناحية وظيفتها الإيحائية؛ وذلك لأن المفارقة التصويرية تقوم على إبراز التناقض بين طرفين كان من المفروض أن يكونا متفقين، والتناقض في المفارقة التصويرية فكرة تقوم على استنكار الاختلاف والتفاوت بين أوضاع كان من شأنها أن تتفق وتتماثل [٢].

---

(١) نقلا عن: المفارقة في شعر إبراهيم نصر الله، إسراء سلامة مقدادي، دكتوراه، كلية الآداب – جامعة اليرموك –الأردن ٢٠١٧م، ص٢٠.

(٢)عن بناء القصيدة العربية الحديثة، على عشري زايد، مكتبة دار العلوم، القاهرة، ط١٩٧٩/٢، ص ١٣٨،١٣٧.

ومن صور المفارقة في شعر أمل دنقل حديثه عن " موت الآخر " في قصيدة " زهور"[١]، والتي نكاد نلمسها في حديث" الزهور" وتمنيها العمر لأمل دنقل، هذه الزهور التي بدأت حديثها من نهاية رحلتها في الحياة (موتها) لا من بدايتها (تعرضها للقصف) لحظة إعدامها في الخميلة /إفاقتها من إغفاءتها / سقوطها من على عروش الحدائق/ وصولا إلى مرحلة الوفاء والإخلاص والرجاء [٢].

ونلحظ أن الشاعر يبدأ قصيدة بحرف العطف وكأن ما قبل البداية معروف للقارئ:

وسلال من الورد

ألمحها بين إغفاءة وإفاقةْ

وعلى كل باقة

اسم حاملها في بطاقة

....

تتحدث لي الزهرات الجميلة

أن أعينها اتسعت. دهشة.

لحظة القطف،

لحظة القصف،

---

(١) الأعمال الكاملة لأمل دنقل ، ص٣٧٠ وما يليها.

(٢) ينظر: تشكيل صورة الموت في شعر أمل دنقل، جمال محمد عطا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٣م، ص٢٢٣، ٢٢٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولعل البداية الغريبة بحرف العطف تشير إلى هذه التكامل في قصائده الأخيرة –لاسيما التي تتحدث عن الموت – وكأنه جعلها قصيدة واحدة بداية من قصيدة (الورقة الأخيرة)، ومرورا بقصيدة (ضد من)، ثم قصيدة(زهور)، ثم (السرير)، حتى (لعبة النهاية)، وأخيرا قصيدة (ديسمبر) (١) نهاية العام / رمز لنهاية الحياة.

بيد أننا لا نجانب الصواب إذا قلنا: إن الزهور هنا معادل موضوعي للشاعر نفسه، من بداية رحلتها وحتى قصفها/ قطفها، ومما يدعم ذلك رمزية العطاء والجود التي جاءت في المفارقة التصويرية؛ حيث نجد الزهور تتمنى الحياة لصديقها، وهي تجود بأنفاسها الأخيرة ، وطالعه يقول:

تتحدث لي..

كيف جاءت إليّ..

(وأحزانها الملكية ترفع أعناقها الخضر)

كي تتمنى لي العمر!

وهي تجود بأنفاسها الأخيرة!!

والصمت في القصيدة يؤدي ما لم يستطع الكلام الوفاء به؛ بداية من الفراغ بعد اسم حامل الزهور في البطاقة، ومرورا بالبياض قبل (لحظة القطف/ لحظة القصف)، ثم الصمت بعد قوله: (تتحدث لي.. ، كيف جاءت إلي..)، ثم الصمت بعلامة التعجب وتحقيق المفارقة بين تمنيها طول العمر له وهي تودع الحياة.

---

(١)الأعمال الكاملة، ص٣٦٠ وما يليها.

إن الزهور هنا جاءت لتقدم درسا في " التفاني والوفاء" رغم ما هي مقبلة عليه من الرحيل – رغما عنها – وقد شكّل الصمت لوحة فنية معبرة؛ فصمت الشاعر بعد حديث الزهور: "أن أعينها اتسعت دهشة؛ وهي تنتظر لحظة القطف"؛ ما هو إلا انعكاس لدهشته، وهو ينتظر لحظة الرحيل، والصمت هنا يتناسب مع إحساس الدهشة، الذي يكف اللسان عن النطق، وتبدأ العين في التعبير في صمت / صمت من ينتظر (الإعدام) دون أن يهمس ببنت شفة، تاركا لعينيه الكلام الصامت، ولتعبيرات وجهه تصوير ما يعتمل داخله من أحاسيس كابية أسيانة.

والمفارقة التصويرية هنا قامت على إبراز التناقض بين طرفين– العطاء / الحرمان–كان من المفروض أن يكونا متفقين (عطاء يقابله بقاء وسرور).

بيد أن الشاعر لم يجعلنا نتمادى كثيرا في تصور تحقق فكرة (المعادل الموضوعي) بينه وبين الزهور؛ حيث فاجأنا في نهاية القصيدة بالتضامن مع الزهور المحتضرة، وتحقيق التوافق بين حالها وحالة؛ فنراه يقول:

كل باقة

بين إغماءه وإفاقة

تتنفس مثلي – بالكاد - ثانية ..... ثانية

وعلى صدرها حملت – راضية .....

اسم قاتلها في بطاقة!

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

" إن قمة التضامن والتفاني في هذه القصيدة يظهر بوضوح في ضبط الزهور لاحتضارها الكامل على إيقاع احتضار الشاعر ذاته، وكأنها جاءت للحياة لتحمل هذه الرسالة وتعلنها للبشر "(١)

وتحقيق عنصر التوافق هنا بينه -في أيامه الأخيرة – وبين الزهور في لحظاتها الأخيرة؛ يشير إلى أن هاجس الموت سيطر على رؤيته في أخريات حياته مما دفعه إلى التأمل في الكون اللامحدود تأملا داخليا، وأصبحت الحوادث والموجودات الخارجية لا تمثل دافعا للكتابة باعتبارها " خارجية منفصلة عن ذاته " بل إنه عقد بينه وبينها صلة صوفية؛ تشبه – كما يقول أحمد طه– في تجلياتها عقيدة " وحدة الوجود " عند بعض الصوفية (٢).

والمفارقة هنا تحققت بين الزهور / رمز الأمل، وبين الفناء، كما تحققت بين العطاء / والحرمان.

وكان للصمت في نهاية النص وقع مؤثر مطرب؛ وذلك عند تصوير الشاعر لتنفس باقة الورد وتشبيه هذه الحالة بحالته؛ فتجد أن الشاعر يصمت في قوله:

" **تتنفس مثلي – بالكاد - ثانية .. ثانية** " ولك أن تتخيل هذا الصمت لخروج النفس المتقطع الذي لا يخرج إلا بعد معاناه ثانية .. ثانية، وكأنك تستمع مع هذا الصمت إلى عقارب الساعة وهي تتحرك في جو ساكن وليل مظلم، وأنت تنتظر صوت العقرب بعد كل دقة.

---

(١)تشكيل صورة الموت في شعر أمل دنقل، جمال محمد عطا، ص٢٢٥.

(٢) ينظر : سفر أمل دنقل ، ص٤٢٩.

إن حالة الترقب هذه لم يكن أجدى من الصمت لتصويرها. وهذا يؤكد أن الفراغ (النقاط السوداء بين كلمة وأخرى) "لا يستقل عن مجمل البناء الكلي للقصيدة؛ ذلك أنه لا يمثل وحدة مضافة إلى النص، أو زينة خارجية مستقلة عنه، أنما هو جزئية جوهرية من كيانه تتفاعل مع سياقه الكلي، ومن ثم تتفاوت دلالته بحسب النصوص وسياقاتها المختلفة،ويعبرعن دلالات كامنة في الذات المبدعة لم يتمكن التشكيل اللغوي وحده من إيصالها "[١].

لقد تحول الصمت هنا إلى كلام لا يدرك كنهه إلا من تأمل وقع الانتظار والترقب في المواقف العصيبة.

إن العنصر المهيمن في شعر أمل دنقل هو المفارقة، ومن الصعوبة أن تجد قصيدة لأمل دنقل لا تعتمد علىهذا العنصرأساسا فيتكوينها البلاغي[٢].

ومن أمثلة الصمت الذي يعتمد على المفارقة التصويرية، ويعكس حالة الشاعر الشعورية قوله في الوجه الثاني من قصيدة " الجنوبي ":

من أقاصي الجنوب أتى عاملا

للبناء

كان يصعد "سقالة" ويغني لهذا الفضاء

كنت أجلس خارج مقهى قريب،

بالأعين الشاردة..

كنت أقرأ نصف الصحيفة،

---

(١)الانزياح الكتابي في الشعر العربي المعاصر، ص١٠٢.

(٢) ينظر : سفر أمل دنقل ، ص٤٢٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والنصف أخفى به وسخ المائدة.

لم أجد غير عينين لا تبصران..

وخيط الدماء

وانحنيت عليه.. أجسّ يدهْ

قال آخر: لا فائدةْ

صار نصف الصحيفة كل الغطاء

وأنا .. في العراءْ (١)

لقد وظف الشاعر (الصمت) في هذا النص توظيفا شعوريا معبرا؛ فالفراغ الذي تركه قبل كلمة البناء له دلالة نفسية تعكس حالته، فلم يكن الجنوبي إلا معادلا موضوعيا لذاته، لم يأت إلا للبناء، وكأنه سكت ليقرر مع نفسه ومع القارئ حقيقة مجيئه من هناك من الصعيد ، لم يأت إلا للبناء ، بيد أنه صارع وهو في رحلة البناء تقاليد وأعرافا ، وحياة سياسية ، ومرضا، وكأنه يراجع ذكرياته وهو في انتظار الموت؛ ليقرر حقيقة ترضيه: هل مجيئي كان إلا للبناء؟

اعتمد " أمل دنقل " في هذا النص على المفارقة؛ ففي البداية نجد عامل البناء" يغني لهذا الفضاء" دلالة على الأمل والفرحة، والإقبال دلالة على الحياة – رغم قسوتها – وفي آخر النص نجد جثة تغطيها الجريدة [٢].

(١) الأعمال الكاملة، ص٣٦٤,٣٦٥.

(٢) ينظر : سفر أمل دنقل ، عبلة الرويني ، ص٤٣١.

ويأتي هنا دور " البيت الصامت " قبل قوله: وخيط الدماء، فهذا الفراغ الذي تركه يعد بيتا صامتا؛ حيث إنه لم يقدم تفسيرا للموت مثل " لم تتحمل السقالة ثقل جسمه"، وبالتالي نراه أكثر نجاحا في خلق حالة شعرية ذات أبعاد متعددة [١].

وقد وظف " أمل دنقل" علامات الترقيم أيضا هنا في تحقيق تقنية الصمت، في قوله: (وانحنيت عليه.. أجس يده) فنقطتا التوتر عبرتا عن صمت الشاعر، وهو ينظر إلى عامل البناء الميت، وهذا الصمت يشير إلى حالة الدهشة والتوتر، في موقف ترى فيه أمامك حالة عجيبة من إنسان يغني ويملأ الفضاء بغنائه، وفجأة تجده أمامك غريقا في دمه، لا روح فيه ولا حياة، ولعلي لم أجانب الصواب حينما قلت: إن العامل هنا معادل موضوعي لذات الشاعر، وهو يرى نفسه بين الحياة المفتوحة المليئة بالأمل والغناء، وبين الموت الذي يداعب مخيلته كل صباح.

ويتضح أيضا هنا أهمية علامات الترقيم، التي لولاها ما انتبهنا أحيانا إلى الصمت [٢].

وصمت آخر في نهاية القطعة الشعرية حينما قال: (وأنا .. في العراء) الفراغ هنا قبل العراء له دلالة شعورية مؤثرة،

ونلحظ أنه استخدم (الالتفات / العدول) عند الحديث عن الغائب/ عامل البناء الميت، إلى الحديث عن المتكلم / صوت الشاعر.

---

(١) ينظر : سفر أمل دنقل ،ص٤٣١.

(٢) ينظر : وقوفا بها، عبدالله الرشيد ، ص٢٩.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

كما أن الشاعر هنا يتأرجح بين الوجود والعدم، وهي حالة يناسبها تقطيع الصوت بالصمت / الفراغ.

والصمت هنا يصور حالة التيه والغربة الروحية والمكانية في آن، أنا/ ضمير متكلم – حالة من الفراغ المعبر عن الإحساس بالغربة وانتظار الرحيل – العراء / وما يمثله من خواء وفراغ وتوتر شعوري، حالة من كلام الصمت، وصمت الكلام.

ونجد " دنقل " في قصيدة «ضدّ من»[١] لا يكتفي بالإشارة إلى ما يعتمل في داخله من حرقة النفس ووهن الجسد، بل يشير إلى المفارقة الملغزة بين بياض أماكن الموت وسواد التعبير عن حضوره، وطالع قوله:

في غرف العمليات،

كان نقاب الأطباء أبيض

لون المعاطف أبيض،

تاج الحكيمات أبيض، أردية الراهبات،

الملاءات،

لون الأسرة أربطة الشاش والقطن ،

قرص المنوّم ،أنبوبة المصل ،

كوب اللبنْ .

كل هذا يشيع بقلبي الوهن.

كلّ هذا البياض يذكّرني بالكفنْ !

فلماذا إذا متّ..

---

(١) الأعمال الكاملة، ص٣٦٨، وما يليها .

يأتي المعزّون متّشحين..

بشارات لون الحدادْ ؟

هل لأن السوادْ..

هو لون النجاة من الموت،

لون التميمة ضدّ .. الزمنْ ،

ضدّ مَنْ..؟

ومتى القلب - في الخفقان- اطمأنْ؟."

إن الشاعر استخدم كمية كبيرة من مفردات ألوان البياض بداية من نقاب الأطباء ، وانتهاء بكوب اللبن، وكل هذا البياض يشير إشارة واضحة إلى " الكفن " الذي يشغل ذهن الشاعر وهو في انتظار الموت، إن الموت يلاحقه في كل شيء حوله، لكن تأتي المفارقة في تساؤله : لماذا إذا مت يأتي المعزون متشحين بالسواد؟ هل لأن الأبيض رمز الكفن والموت ، صار نقيضه الأسود إشارة للنجاة؟ أيكون السواد إذن هو الحرز الذي يقي الإنسان ويحصنه ضد المخاطر " ضد الزمن "؟ تستنكر القصيدة أن يكون هناك تميمة على الإطلاق تقف ضد الزمن؛ إذ الزمن غلّاب قاهر يطوي الأحياء ، الواحد تلو الآخر ، ويتساءل الشاعر بعد ذلك : " متى اطمان القلب"؟[١]

والصمت في هذه المقطوعة يأتي في أشكال مختلفة؛ فتارة يأتي بفراغ التوتر/ علامة الحذف، وتارة يأتي بالاستفهام الذي يحمل في طياته صمتا طويلا ، صمت التعجب والاستنكار في آن واحد .

(١) ينظر : سفر أمل دنقل ، ص٥٥١

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وتأمل جمال الصمت في قوله :

فلماذا إذا مت ..

يأتي المعزون متشحين..

بشارات لون الحداد؟

إن الصمت هنا التفات إلى التأمل الوجداني، جاء مبنيا على المزاوجة بين الموت والنجاة / الأبيض والأسود .

والصمت جاء في هذه القصيدة بحذف (العبارة) وذلك في قوله : ضد من ...؟ والتقدير هنا : ضد من يرتدي المعزون ثياب الحداد السوداء؟ في محاولة تنفي أن تكون هناك تميمة ضد الموت أو الزمن(١) .

إن الشعر هنا يبوح ويخفي ، يوجز حذفا ، وما يخفيه أو يحذفه ،يدل عليه ما هو معطى ومباشر في القصيدة ، هذه الحقيقة قد تتخذ تعلة فنقوّل القصيدة مالا تقوله ضمنيا(٢) . بيد أننا لا نجانب الصواب حينما نجد أن الصمت يمثل -أحيانا -بوحا من نوع آخر ، لكنه بوح لا يفهمه إلا من تعايش مع تجربة الشاعر تعايشا صادقا ؛ تعايشا يجعله يقرأ ما وراء النص سواء المنطوق منه ، أو المسكوت عنه .

---

(١) ينظر : بنية القصيدة عند أمل دنقل ، ابتسام محفوظ، ماجستير ، كلية الدراسات العليا ، الجامعة الأردنية ١٩٩٣م، ص١٦٣.

(٢) ينظر : سفر أمل دنقل ، ص٥٥١.

المحور الرابع

صمت الإحجام

وأعني بصمت الإحجام، السكوت عن استكمال الكلام سخرية من وضع معين، أو عدم القدرة عن التصريح أو البوح، فيأتي الصمت في النص الشعري كأنه دلالة على عجز الشاعر عن الكلام [١].

وفي ديوان " أوراق الغرفة ٨" تقوم القصائد بالتهيئة لنوعين من الموت ، لو صح التعبير ، موت الآخر فيما قبل ، وموت الشاعر ، أو ربما موت الشاعر أولا ، وبالضرورة موت الآخر ، وقد يكون ذلك الموت هو موتهما : الشاعر والآخر معا ، متحدين متعانقين ، والآخر الذي يموت هو بالتخصيص " الجماعة العربية " وليس بالتعميم " الجماعة الكونية " [٢]

ومن القصائد التي تنعي موته قصيدة سابقة لمرضه، وقيل : إنها ترجع إلى فترة زمنية تمتد من عام ١٩٧٥م قصيدة " مقابلة خاصة مع ابن نوح " [٣] ، وهي قصيدة يحاول الشاعر فيها أن يعيد رواية سيدنا نوح – عليه السلام – مع الطوفان ، وإنما بشكل مقلوب ، لو صح التعبير؛ حيث إن الطوفان في هذه القصيدة يفاجئ أبناء نوح ، ولكنهم في هذه المرة لا يبنون لأنفسهم سفينة ويفرون ، وإنما الجبناء والمنتفعون هم الذين يفرون نحو السفينة[٤].

ويظهر صمت " الإحجام " في هذه القصيدة بشكل لافت، ونلحظ ذلك في بداية القصيدة حينما يقول الشاعر:

---

(١) ينظر في دعم هذا التعريف : وقوفا بها ، عبدالله الرشيد ،ص٤٦ وما يليها.

(٢) ينظر : سفر أمل دنقل ، ص٤٧٤.

(٣) الأعمال الكاملة ، أمل دنقل ، ص٢٩٣، وما يليها.

(٤) ينظر : السابق ،ص٤٧٥.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

جاء طوفان نوح!

... ...

المدينة تغرق شيئا ... فشيئا

تفرّ العصافير ،

والماء يعلو.

فالبيت الصامت هنا مثّل لونا من الإحجام عن التصريح بالمقصود بالطوفان / الفساد السياسي في عصره، والذي انعكس على كل دروب الحياة ممثلا طوفانا يقتلع في طريقه الأخضر واليابس . ولعل البيت الصامت/ الفراغ الذي تركه يمثل امتدادا دلاليا لمجيء الطوفان ، فالصمت هنا يناسب مجيء الطوفان في مطلع القصيدة ، وكأن الماء يظهر شيئا فشيئا ، والناس تقف في صمت عاجز ينظرون . ومما يدعم هذه الرؤية قوله: " المدينة تغرق شيئا ... فشيئا " وهذا الصمت بالفراغ ، أو بعلامات الترقيم يصور الدهشة والانتظار.

ويصور الشاعر بشكل ساخر هؤلاء المنتفعين الذين يفرون نحو السفينة للنجاة بأنفسهم واصفا إياهم بقوله: " الحكماء" فالبنية اللغوية هنا منقطعة بصمت ساخر ، ثم يفاجئ القارئ بأن هؤلاء الحكماء هم مجموعة من الذين أسهموا في ضياع الوطن، وكانوا سببا في غرقه ، وحينما غرق الوطن كانوا أول الهاربين، لكن دونما تصريح مباشر :

ها هم "الحكماء" يفرون نحو السفينة

المغنون – سائس خيل الأمير – المرابون –

قاضي القضاة

(.. ومملوكه!) –

حامل السيف – راقصة المعبد

(ابتهجت عندما انتشلت شعرها المستعار)

- جباة الضرائب – مستوردو شحنات السلاح –

عشيق الأميرة في سمته الأنثوي الصبوح !

جاء طوفان نوح

ها هم الجبناء يفرون نحو السفينة .

ويمثل الإحجام هنا صمتا يستطيع القارئ أن يقرأ ما وراءه من الكلمات التي لم تذكر؛ بداية من أسلوب السخرية بوصفهم " حكماء " ثم الصمت بين كل فئة وأخرى ، والصمت قبل : "قاضي القضاة.. ومملوكه حامل السيف" وجعلهما –وهما رمزان للسلطتين : التشريعية والتنفيذية– في حقل واحد مع بقية الفئات من المرابين، والمغنيين، وكذلك الراقصة ، التي استخدم الشاعر عند ذكرها صمتا ساخرا ؛ حيث إنها لم تبتهج لنجاتها، وإنما ابتهجت لأنها انتشلت شعرها المستعار الذي سقط عنها .

بيد أن الشاعر لم يستطع الصمت طويلا فغلبه التصريح في نهاية المقطع ؛ وهو ما أفقد صمت الإحجام السابق جماله ؛ حيث وصفهم الشاعر وصفا صريحا بأنهم : "**جبناء يفرون نحو السفينة**"

لكنه عاد إلى استخدام تقنية " الصمت " مرة أخرى وهو ينقل لك الجانب الآخر ، حيث إن أبناء نوح (الشاعر ورفاقه) لم ينشغلوا بالفرار كما فعل هؤلاء المنتفعون ، وإنما انشغلوا بكيفية مواجهة الطوفان :

ولنا المجد – نحن الذين وقفنا

(وقد طمس الله أسماءنا)

نتحدى الدمار . . .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ونأوي إلى جبل لا يموت

(يسمونه الشعب)

نأبى الفرار ..

ونأبى النزوح!

.....

.....

.....

فالشاعر هنا يستخدم " البياض " بوصفه شارة على الصمت قبل قوله " وقد طمس الله أسماءنا " فهم الذين دافعوا عن الوطن، ولكن أسماءهم قد طمست ، والفراغ قبل ذكر الطمس يناسبه ، كما أن الفراغ / البياض قبل قوله" يسمونه الشعب " يناسب توصيف سخرية المنتفعين من هذا الجبل الذي لا يموت " الشعب "

ويعمد الشاعر إلى الصمت بالفراغات " النقاط " في ثلاثة أبيات صامتة، كأنها هتافات مكرره :

نأبى الفرار ، نأبى النزوح ، في (صمت إحجام) حيث إن رفع هذه الشعارات يقابل بالبطش والتنكيل في الأعم الأغلب ؛ ولذا صمت الشاعر عن تكرارها مكتفيا بالفراغ(الأبيات الصامتة).

وثمة أمر لافت في هذه القصيدة وهو : طول الصمت وقصره؛ حيث نجد الصمت يطول بعد قول الشاعر:

جاء طوفان نوح!

....

وكأن الطوفان/ الفساد استغرق وقتا طويلا ناسبه طول الصمت بالبيت الصامت ،ولم ينتبه الناس إلا بعد مجيئه.

بينما نجد الصمت يقصر في قوله :

المدينة تغرق شيئا ... فشيئا

فالصمت هنا بين شيئا ... وشيئا قصير يشير إلى الانتباه الذي جاء متأخرا فالاستيقاظ من الغفلة ناسبه الصمت القصير / أما طول الغفلة والسبات والفساد فناسبه الصمت الطويل .

وتلحظ أن الشاعر عمد إلى هذه التقنية الصامتة أيضا بين فئات المجتمع ؛ فالصمت بعد: الحكماء لم يكن طويلا ، بينما نجده يطول بعد قاضي القضاء... ومملوكه؛ وهما هنا – كما أسلفنا – رمزان للسلطة المنوط منها العدل، كذلك الصمت أمام حامل السيف ، لم يكن بالطول الذي وجدناه بعد الراقصة/ رمز النفاق السياسي، والإعلام المطلل.

ويبدو أن هذه التقنية الفنية مقصودة ،فالصمت جاء متناسبا مع كل فئة، وما تمثله من خطر.

ويشكل "صمت الإحجام " ملمحا مؤثرا في قصيدة "خطاب غير تاريخي على قبر صلاح الدين "(١) حيث يقول الشاعر فيها :

نم يا صلاح الدين

نم .. تتدلى فوق قبرك الورود ..

كالمظلين!

ونحن ساهرون في نافذة الحنين

نقشّر التفاح بالسكين

---

(١) الأعمال الكاملة ، أمل دنقل ، ص٢٩٧، وما يليها.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ونسأل الله " القروض الحسنة "

فاتحة :

آمين

فالشاعر هنا ينعى الجماعة العربية ، وقد استسلمت لآلامها وجراحها، وتنكرت لماضيها العريق عاجزة عن الفعل والحركة (١).

ويمكن أن نقرأ بين كلمتي " فاتحة ، آمين " أشياء كثيرة ، تتصل بعالم السياسة ، وبقضية الاستسلام والاستكانة ، وكأنها دعوة إلى أن يتدخل القارئ إلى استكمال ما بين السطور ، فليس ببعيد عنه ما بين البداية والنهاية / الفاتحة والتأمين ، الذي نلحظه في مستويات سياسية متعددة

فنجد أن أبلغ وسيلة هنا هي الصمت ؛ الذي يضفي على مساحات التخيل –ووضع الكلمات مكان هذه المساحة من الفراغ– بعدا آخر يعبر عن ألم الشاعر من حالة الخنوع والوهن ، ولذا فلا عجب أن ينادي " صلاح الدين " باستمرار نومه ، ويدلف ساخرا من أوضاعنا " نحن ساهرون ... نقشر التفاح بالسكين" ولو تأملت تجد أنه جعل كلمة " فاتحة " في سطر مستقل ، وكلمة " آمين " بعدها في سطر ؛ لتمثل هذه المساحة تقنية الصمت خير تمثيل .

---

(١) ينظر : سفر أمل دنقل ، ص٤٧٥.

المحور الخامس

الاستفهام والصمت

يأتي الصمت في بعض الأشعار من خلال الاستفهام؛ حيث يطرح الشاعر سؤالا ، ثم يصمت قليلا وذهنه مشغول بالجواب ، وبصمته يصمت القارئ الذي يشارك الشاعر في الاختيار بين الإجابات المتعددة التي يطرحها الذهن .

ومن صور الصمت باستخدام الاستفهام والاعتماد أيضا على المفارقة التصويرية قصيدة " الجنوبي "[١] التي أشرنا إليها قبل ذلك؛ حيث إننا نلحظ في بدايتها أنه يمهد لنا بتذكر بيت الطفولة الذي يرتبط في ذاكرته بمجموعة من المفردات الأليفة ، وفي مقدمتها : الأب والأم، والإخوة والرفاق، والأماكن التي لعب فيها ، وأحلام اليقظة... إلخ، غير أنه يسوق لنا في بقية القصيدة مفردات وجملا تعطي مناخا معاكسا وتتمحور دلالتها حول " الموت": أبيه الميت ، أخته الميته، دمه السائل، القبور ، الأصدقاء الموتى...إلخ هذه المفارقة الشاملة التي تجمع بين الموت والطفولة ، والبداية والنهاية [٢].

ونجد للصمت في النص وقعا مؤثرا حينما يعلق على الصورتين المتناقضتين مستفهما:

أو كان الصبي الصغير أنا؟

أم ترى كان غيري؟

أحدّق..

---

(١) الأعمال الكاملة، ص٣٦٠

(٢) ينظر : سفر أمل دنقل ، ص٤٢٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والاستفهام هنا يشكل صمتا،" وأسلوب الاستفهام لا يرمي بالمعاني في النفوس، وإنما يحث على استخراجها ويثير ويشوّق" (١) فالشاعر يصمت بالاستفهام الذي يقتضي عدة أجوبة؛ ليطرح السؤال بصيغة مغايرة؛ دلالة على التحير والتعجب؛ هل من كان في هذه الذكريات أنا؟ أم غيري؟ ولذا فلا عجب في أن يأتي صمت التوتر والفراغ بعد كلمة: (أحدق ..) فالشاعر صور نفسه محدقا متأملا، وجاءت مساحة السكوت التي تناسب هذا التأمل واسترجاع الذكريات. "إن لعبة الكلام والصمت، والمراوحة بين الامتلاء والخواء قد وظفت في النص؛ لاستبطان ذات المتكلم." (٢)

وفي مبارزة مع الموت ، يخوض الشاعر معركته ناظرا في عيني الموت بثبات ومرارة كما يواجه الإنسان وحشا فاجأه في منعطف شارع ؛ نجد الشاعر يصر في هذه المواجهة على رفض الانكسار، وهو يخاطب الموت الذي سماه " الرخ" في قصيدة " ديسمبر"(٣) ؛ حيث نجده يتباهى بما يمتلكه، وما تمتلكه الحياة في مواجهة الموت ، فالحياة باقية مليئة بالمسرات ، وكل ما يحصل عليه الموت إنما هو الجثث ، وكأنه يعيّر الموت الذي لا يحصل في نهاية الأمر إلا على النفايات ، كأنه يؤمن بأن روح الإنسان لا تموت ، وأن ما يموت هو الجسد ، فالحياة في نظره أقوى من الموت(٤).

---

(١) القوس العذراء وقراءة التراث، د/محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى ١٩٨٣/، ص٢٨.

(٢) ينظر : سيميائية البياض والصمت في الشعر العربي الحديث، الجوة أحمد، ص٣.

(٣) الأعمال الكاملة، ص٣٧٨

(٤) ينظر : سفر أمل دنقل ، ص٤١٣,٤١٢.

يقول الشاعر :

ها هو الرخّ ذو المخلبين يحوم..

ليحمل جثة ديسمبر الساخنة

ها هو الرخّ يهبط..

والسحب تلقى على الشمس طرحتها الداكنة

قالت الراهبات :

(سلام على الأرض!)

يا أيها الرخ: كم جثة حملتها مخالبك الأبدية خلف الجبل ؟؟

ما الذي نحن نعطيك- يأيها الرخ- منذ الأزل؟

ما الذي نحن نعطيك؟

لا شيء إلا توابيت ، لا شيء

إلا المبادلة الخائبة.

جثث تتراكم في الضفة الساكنة

بينما نحن –نمتلك النور-

عشب البحيرات – صوت الكناريا –

مجالسة الورد – أنشودة المهد- رقص

البنات الصغيرات في العرس – تمتمة

القط في الصلوات – خرير الينابيع –

والصمت في هذه القصيدة – التي يعد عنوانها معادلا موضوعيا لحياة الشاعر- يصور حالة من تحقيق التصوير الشعوري لما يعتمل في نفس الشاعر؛ بداية من قوله: (ها هو الرخ ذو المخلبين يحوم../ ها هو الرخ

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يهبط..) ؛فهذه النقاط التي تشي بالصمت تصور حالة الترقب والانتظار التي تتناسب مع كلمتي : يحوم ، ويهبط ، وكأن الشاعر يترقبه وهو في هذه الحركة ، وهذا الصمت يتوافق مع نظر الشاعر لهذا الطائر المفترس وهو يحوم حوله ، يهبط محاولا قبض روحه.

ويأتي الصمت بالاستفهام؛ الذي يلقي فيه الشاعر التساؤل ، ويترك مساحة للصمت وتوقع الإجابة ، ولعله يصمت ليشاركه القارئ لحظة الصمت هذه . وقد جاء الاستفهام عدة مرات في هذه القصيدة كما في قوله :

يا الرخ: كم جثة حملتها مخالبك الأبدية خلف الجبل ؟؟

ما الذي نحن نعطيك- يا أيها الرخ- منذ الأزل؟

ما الذي نحن نعطيك؟

إن الشاعر لا يستطيع أن يرى العالم بعين غير عينه، ومن ثم لا يستطيع أن يكتشف العالم اكتشافا حقيقيا إلا إذا ارتبط هو نفسه بالواقع الذي يراه(١).

إن الموت عند أمل دنقل –كما يصوره في قصيدته – لا يعدو أن يكون واقعة لا دخل لنا فيها ، ظاهرة عضوية لا مفر منها ، هو صاحب قوة وسلطان ، لكنه لا يمثل إلا انفصال الروح عن الجسد ، يتحلل فيه الجسد ، وتنتقل الروح إلى نمط حياة أخرى (٢).

والصمت الذي تولد من طرح التساؤل: كم جثة حملتها مخالبك؟ يعطي دلالة الكثرة والتعدد والإقرار بحتمية المصير الأبدي والفناء ، لكنه يأتي في

(١) ينظر : حوارات أمل دنقل ، أنس دنقل ، ص٥٤.

(٢) ينظر : تشكيل صورة الموت في شعر أمل دنقل ، جمال محمد عطا، ص٢٠٣.

التساؤلات التالية – ما الذي نحن نعطيك – يا أيها الرخ – منذ الأزل ؟ ما الذي نحن نعطيك؟ – يأتي ليقف معه الشاعر لحظة تأمل يعبر فيها عن إدراكه لحقيقة الموت أيضا ، حقيقة تجعله يواري خوفه من الموت ، ويقف أمامه في اطمئنان كامل ؛ فالموت لا يحمل إلا الجثث الفانية ، بينما لا يحمل الروح التي تهيم في عالمها الخاص – من منظور الشاعر – ، إن هذه الوحدة المتوترة " القلق/ الاطمئنان " تظهر بوضوح في الصور والمجازات والمفارقات التي أضفاها أمل دنقل على الموت(١).

ومن توظيف الصمت باستخدام أسلوب الاستفهام قول أمل دنقل في قصيدة " الخيول"(٢):

ماذا تبقى لك الآن،

ماذا ؟

سوى عرق يتصبب من تعب

يستحيل دنانير من ذهب

في جيوب هواة سلالاتك العربية

في حلبات المراهنة الدائرية

فالشاعر في هذه القصيدة– التي ترمز فيها الخيول للقوة العربية في تاريخها السحيق ، عندما كانت للخيول صولة في الفتوحات ، والمعارك العربية والإسلامية – نراه يستخدم الصمت بعد الاستفهام ، هذا الاستفهام الإنكاري ، الذي يعبر فيه عن مرارة ما يشاهده ؛ فالخيول التي صالت

(١) ينظر : تشكيل صورة الموت في شعر أمل دنقل، ص٢٠٦.
(٢) الأعمال الكاملة ، ص٣٨٧ وما يليها .

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

وجالت، وكانت سبيلا للنصر لم يتبق منها إلا العرق الذي يسيل ؛ ليتحول إلى دنانير في جيوب المراهنين عليها في حلبات السباق.

ونلحظ أن الشاعر طرح السؤال، وجاءت علامة الاستفهام لتصور حالة من الصمت والتعجب والحسرة في آن واحد ؛ ماذا تبقى لك الآن ، ماذا ؟ وتكرار أداة الاستفهام له دلالة أخرى تشي بحالة التعجب والحسرة، بيد أنك تلحظ أن صمت الاستفهام هنا موحي يقتضي أجوبة يمكن سماعها بالصمت ، فالمشهد هنا كأنه مشهد مسرحي ؛ يصمت الشاعر قليلا بعد ماذا الأولى ، وينشغل الذهن بالجواب ، ثم تأتي ماذا الثانية ؛ لتطرح عدة اختيارات ، ثم يفصل الشاعر هذا الصمت الذي أراد فيه مشاركة القارئ له بالجواب المؤلم الذي ختم به مقطوعته .

فهذا هو مجال الخيل بعد أن فقدت سمتها الأصيل – وصهيلها الذي يلهب الأسماع والقلوب – والرمز الذاتي " الخيول " مثقل بالدلالات والمعاني ؛ بعد أن سحب الشاعر عليه كل صفات فرسانه الذين تفللت مضارب سيوفهم ، فساروا إلى هوة الموت كالخيل ، وسارت خيلهم إلى هوة الصمت ... ويتضح في القصيدة التناقض الذي يعتمد على المفارقة التصويرية ؛ حينما يستحضر الشاعر ملامح الخيول العربية القديمة (خيول الفتوحات) وصورة الإنسان العربي المقهور ، فبدا التناقض صارخا بين الماضي والحاضر ، بين الملامح الحقيقية والمعمرة ، وبين الملامح المعاصرة ، وتسمى هذه المفارقة بالمفارقة التصويرية ذات الطرف التراثي الواحد وهو (الخيول) [١].

(١) ينظر : سفر أمل دنقل ، ص٤٩٢,٤٩٣.

ومن استخدام الصمت عن طريق الاستفهام قوله في قصيدة " الجنوبي":

ليت " أسماء " تعرف أن أباها صعدْ

لم يمتْ

هل يموت الذي كان يحيا

كأن الحياة أبدْ؟!

وكأن الشراب نفدْ؟! (١)

واستخدام " كأن " هنا له عدد من المعاني والدلالات التي توحي بعدم اليقين الفكري، بقدر ما تعني هذه الحيرة المعرفية – بطرح هذا التساؤل – في استنتاج إجابات نهائية[٢] .

فكان الأنسب لهذه الإجابات هو الصمت ، الذي يجعل المتلقي يشارك الشاعر حيرته وتساؤله، باحثا عن إجابات تحقق عنصر المشاركة الوجدانية والتواؤم الشعوري بينه وبين الشاعر؛ حيث يسعى دنقل هنا لطرح فكرته التي ألح عليها في معظم قصائده : فكرة الموت الذي يكون بداية للحياة .

---

(١) الأعمال الكاملة ، ص٣٦٥..

(٢) ينظر : أمل دنقل الإنجاز والقيمة ، المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠٣م،ص١٠٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

المحور السادس

الصمت والتكثيف الدلالي

التكثيف يعني التركيز ، وتحويل الشيء إلى حجمه الأدنى ، والتعبير بكيفية دقيقة في عدد قليل من المفردات؛ يقال : نص مكثف وأسلوب مكثف؛ حينما يتم التعبير عن فكرة غنية بكلمات قليلة(١) .

وهناك صلة فنية بين خاصية التكثيف والنص الشعري على وجه التحديد ، ويبرز دور المتلقي ووظيفته التأويلية في قراءة النص المكثف؛ فهو يتكفل بعبء الفهم ، فتتكامل بفضل ذلك بلاغة الكتابة ، وبلاغة القراءة(٢) .

لقد حاول " أمل دنقل " في ديوانه الأخير " أوراق الغرفة ٨" أن يجعل الصمت يتكلم ، والكلام يصمت ، فكثير من الكلام يكفيه لحظة صمت ؛ ليتحقق عنصر " التكثيف" الذي ينتج – لاشك– توسيعا للمدى الدلالي في النص.

ونلحظ تحقق عنصر " التكثيف" وبلاغته في قصيدة" لعبة النهاية " (٣) التي يصور فيها " دنقل " الموت ؛ ذلك الصياد الماهر الذي يتحرك لاصطياد فرائسه ، فيجلس في الميادين ، ويتوجه للبحر ، والقصيدة – مثل معظم قصائد الديوان – مواجهة مع الموت ، وتحقق للثنائية المستمرة في الديوان بأكمله : الموت/ والحياة .

---

(١) ينظر : التكثيف خاصية أقصوصية ، البشير الوسلاتي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة القيروان ، عدد ١٤/ ٢٠١٥م، ص٦,٥.

(٢) ينظر : السابق ، ص٧.

(٣) الأعمال الكاملة ، ص٣٧٥ وما يليها .

كما أنها تدل – مثل غيرها من قصائد الديوان – على أن أمل دنقل وصل إلى التعامل مع الموت كمادة لتأمل الحياة ذاتها ، واختراق كنه وفلسفة الموت ، ومحاولة التأكيد على أن الموت استمرار للحياة ، بل تثبيت أبدي لها ، وربما تكون تلك الفكرة معبرة عن نزوع إيماني عنده (١).

يقول الشاعر:

في الميادين يجلس،
يطلق – كالطفل – نبلته بالحصى ..
فيصيب بها من يصيب من السابلة!

يتوجّه للبحر،
في ساعة المد:
يطرح في الماء سنارة الصيد،
ثم يعود..
ليكتب أسماء من علقوا
في أحابيله القاتلة!
لا يحب البساتين..
لكنه يتسلل من سورها المتآكل،
يصنع تاجا:
جواهره .. الثمر المتعفن،
إكليله .. الورق المتعضن،

(١) ينظر : أمل دنقل الإنجاز والقيمة ،ص١٠٣,١٠٤.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يلبسه فوق طوق الزهور

الخريفية

الذابلة!

إن كتابة القصيدة بهذا الشكل في الديوان مقصودة؛ لتحقق عنصر التشكيل البصري الذي أشرنا إليه آنفا ؛ ولتحقق أيضا عند القارئ تصور لحظات الصمت التي جاءت دلالتها من الفراغ أو علامات الترقيم .

إن الشاعر هنا (أنسن الموت) وسخر منه ، وعنوان القصيدة هو " لعبة الموت " وهو نفسه لا يخلو من السخرية التي تنزع براثن الخوف من الموت الذي يغدو أنيسا وأليفا ، وطفلا لاهيا معنا في لعبة تجمعنا وإياه على نحو مباشر ، بطريقة شعرية مبنية على المفارقة التي تزيل عن الموت براثنه ، وكل ما يحيط به من إيحاءات الخوف والرعب، فتصوره في الصورة الرمزية التي اعتدنا أن نراها للحب : طفلا بريئا جميلا ، يحمل جعبة السهام ، التي يطلقها فتصيب قلوب العاشقين ، أو قلوب الفانين الذين تربط بينهم السهام العفوية التي تتجاور فيها العشوائية والبراءة(١).

والصمت في القصيدة اعتمد على التكثيف الدلالي؛ حيث نجد الشاعر يصمت بعد قوله : (فيصيب بها من يصيب من السابلة) فالصمت بعدها يحمل كلمات متعددة : إنه أصاب الصغار ، والكبار ، الأصحاء ، والمرضى ، لم يفرق بين أحد، بل يجمع جعبته في صمت ويتوجه للبحر.

ويعمد الشاعر للصمت المبني على التكثيف أيضا في قوله : (ثم يعود.. ليكتب أسماء من علقوا / في أحابيله القاتلة) هنا نجد الصمت يعين

(١) ينظر : قصيدة الرفض، جابر عصفور، ص٣٢١.

على إثارة الخيال، وينشط عنصر التأويل والإيحاء ، ويجعل المتلقي عنصرا فعالا في التأويل أيضا ؛ فالموت عند البحر- وهو مظنة التقاء الأحباب- يلقي هذه المرة سلاحا آخر غير السهام ؛ إنه يلقي (سنارته) ثم يعود.. وتأمل وضع نقطتي التوتر هاتين ، وما توحي به من مسافة ترك السنارة في الماء ؛ يعود ليسجل أسماء من علقوا في أحابيله القاتلة .

إن الصمت يمثل نسقا لغويا ، ولكنه لا يلتزم سياقات الحوار المألوفة؛ لأنها منطقة حوارية تعبيرية تمثل منطقة الإحساس والمشاعر الباطنية ، التي لا يمكن لها أن تندرج تحت أي سياق؛ لأنها تكون منفلتة حتى من قوانين الطبيعة ذاتها التي تمثل شكلها الخارجي [١]، والصمت في المقطع الأخير من هذه القصيدة جاء مبنيا على المفارقة والتكثيف معا

وفي قصيدة " إلى محمود حسن إسماعيل في ذكراه "[٢] نجد أمل دنقل يركز بؤرة الضوء على لون البياض ، البياض الذي يحيط به وهو على " سريره " في غرفته التي ودع منها الحياة ؛ فالأسرّة دائمة ، والذين ينامون فيها سرعان ما ينزلون عنها ؛ كي يسبحوا في النهر الذي يصل الحياة بالموت ،فإما وصول إلى شاطئ الحياة ، وإما غوص في نهر السكون ، صوب نهاية الحياة ، وأول شاطئ الموت [٣].

---

(١)ينظر: اشتغال الصمت في رواية سرادق الحلم والفجيعة: تقاطع القراءة والكتابة ، كريمة تيسوكاي، مجلة الخطاب ، جامعة مولود معمري تيزي وزو- كلية الآداب واللغات، العدد ١٢/٢٠١٢م ، ص١٠٦.

(٢) الأعمال الكاملة ، ص٤٠٨، وما يليها.

(٣)ينظر: قصيدة الرفض، ص٣١٨.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

يقول أمل دنقل :

إن البياض الوحيد الذي نرتجيه

البياض الوحيد الذي نتوحد فيه :

بياض الكفن!

إن التكثيف في هذه المقطوعة جاء في صورة بديعة ؛ صورة لخصت – في إيجاز – المصير الأبدي للناس جميعا ، ذلكم المصير الذي يتوحد فيه الناس كلهم على اختلاف أنواعهم ومشاربهم وثقافاتهم، وهو المصير المحتوم الذي لا مناص منه .

لقد جاء الصمت / الفراغ قبل قوله : (بياض الكفن)ليتناسب مع حالة الترقب لهذا المصير النهائي ، الذي لا مفر منه ؛ ولذلك قال قبل هذه الأبيات:

هذا هو العالم المتبقي لنا : إنه الصمت

والذكريات ، والسواد هو الأهل والبيت.

إن الموت / الصمت / البياض : مفردات تعبر عن معنى واحد عن الشاعر ، بينها ترابط وتوافق ، ولهذا كان الصمت في النص من خلال التكثيف / كلمات قليلة عبرت عن عوالم وصراع داخلي وحقيقة أبدية لخصها الشاعر .

لقد شكل الصمت – الفراغ الذي جاء قبل كلمة : بياض الكفن – اشتراكا بين المبدع والمتلقي في تصور ما وراء هذا السكون والسكوت ؛

لأنه" لم يعد المعروض –فقط – نصا ؛ بل هو إلى جانب النص فضاء صوري شكلي ، لا يخلو من دلالة تحكمها مقصدية منتج الخطاب"[١].

ونجد في قصيدة " بكائية إلى صقر قريش"[٢] مثالا يركز على الأسباب المفضية إلى الانقطاع التاريخي، فالرمز التاريخي المرتبط في الذاكرة الشعرية بالأمجاد والفتوحات العربية في الأندلس يتحول إلى (رسم باق على الرايات مصلوبا .. مباحا) أو يبقي (ما بين خيوط الوشي زرا ذهبيا يتأرجح) [٣]

ويظهر توظيف الصمت في هذه القصيدة ظهورا لافتا ، معتمدا على تقطيع النص بعلامات الترقيم ، والامتداد الدلالي الذي يعين القارئ على التماهي مع النص من خلال : التكرار ، ومد نبرة الصوت ، وقد كان للتكثيف في عرض الصورة دوره الكبير في تأثير الصمت في النص . يقول الشاعر:

أنت ذا باق على الرايات مصلوبا ... مباحا

- **"اسقني..."**

لا يرفع الجند سوى كوب دم.. ما زال يسفح

- **"اسقني..."**

- **هاك الشراب النبوي..**

اشربه عذبا وقراحا

مثلما يشربه الباكون...

---

(١) الانزياح الكتابي ، على أكبر محسني ، رضا كياني ، ص٦.

(٢) الأعمال الكاملة ، ص٤٠٠ وما يليها .

(٣) ينظر : سفر أمل دنقل ، ص٤٤٩,٤٥٠.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

والماشون في أنشودة الفقر المسلّح!

- "اسقني..."

لا يرفع الجند سوى كوب دم مازال يسفح!

بينما "السادة" في بوابة الصمت الملح

يتلقون الرياحا

ليلفوها بأطراف العباءات ...

يدقوا في ذراعيها المسامير...

وتبقى أنت

(ما بين خيوط الوشي)

زرا ذهبيا

يتأرجح!

إن تقنية (الطباعة) هنا شكلت ما يمكن أن نسميه القراءة الصامتة ، وهذه القراءة الصامتة أوجدت مجالا لتوليد شعرية بصرية للنص.

فالشاعر يستخدم الصمت من خلال توظيف علامات الترقيم (النقاط، والأقواس، وعلامات التعجب...وغيرها) ليحدث التأثير المقصود ، كما أنه يستخدم التكثيف من خلال توظيف الإشارات الصامتة أو الفراغ الصامت ؛ ليحقق عنصر التواؤم الشعوري مع القارئ، ويفتح أمامه بابا للمشاركة الوجدانية معه؛ وطالع قوله: مصلوبا ، ثم الصمت بعدها باستخدام نقاط الحذف / مصلوبا ... مباحا ؛ لتجد أن هذا الصمت يناسب حالة التأمل لهذا المصلوب، والنظر في دهشة وتحسر ، وتأتي كلمة: " مباحا " لتشير إلى الانقطاع التاريخي والتحول في دلالة الصقر الذي كان يصول ويجول / رمز الحرية والقوة، ليصبح رمزا للضعف .

ويصدر الخطاب الشعري في صيغة الأمر "اسقني" عن الشخصية التاريخية "صقر قريش"التي تتوحد معها الشخصية الشعرية، ويتوجه الخطاب إلى الصقر، الذي تحول من رمز تاريخي حيوي إلى دلالة هامشية.(١)

وتأمل توظيف علامات الترقيم؛ وضع الفعل الأمر اسقني بين قوسين ؛ دلالة على الانحصار ، وصعوبة الاستجابة ، إنه سجن آخر للكلمة التي يطلب بها هذا البطل المصلوب ما هو من حقه في الحياة ، ثم الصمت بعدها بالفراغ / علامة الحذف" اسقني ..." ، والصمت بعد قوله " مثلما يشربه الباكون ... " والصمت هنا بالتكثيف الذي اختصر الموقف المتألم بكلمة البكاء، والصمت بعدها يناسب حالة الحسرة والتألم على تحول الواقع القديم إلى هذه الصورة من التخاذل والتراجع والضعف والاستكانة، التي يمثلها : صورة هذا البطل المصلوب.

لهذا يصبح طلب السقيا والارتواء – وما تحملهما من دلالات التخصيب والتجدد وابتعاث الحياة – أمرا يصعب تحققه ، فهو لا يجد في يد الجند إلا " كأسا من دم ما زال يسفح"

إن هذه القصيدة تعد استعجالا لموت أمل دنقل بعد موت الجماعة العربية – في منظوره– وفيها يتوحد الموتان معا(٢) .

---

(١) ينظر : سفر أمل دنقل ، ص٤٥١.

(٢) ينظر : سفر أمل دنقل، ص٤٧٧.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ولهذا نراه يختتمها بقوله :

عم صباحا أيها الصقر المجنح

عم صباحا

سنة تمضي ، وأخرى سوف تأتي.

فمتى يقبل موتى...

قبل أن أصبح – مثل الصقر –

صقرا مستباحا؟!

ولك أن تتأمل هذا التمازج بين حاله وهو يودع الحياة، وحال هذا المصلوب الذي يتوحد معه في انتظار الموت ، وطالع الصمت بعد قوله : " فمتى يقبل موتى.. " وهذا الفراغ الذي يتناسب مع حالة الانتظار التي مثلها الاستفهام بامتداده الدلالي .

الخاتمة

بعد هذه الرحلة مع " أمل دنقل " ذلكم الشاعر المراوغ بشعره ، الـــذي يبهرك بمجموعات هائلة من الأدوات الفنية التي يمكنك- من خلالهـــا - أن تقف على تجربته موقف المعجب المبهور ؛ فتجدك جديرا أن تأخذ في قراءة ديوانه فلا تتركه حتى تتمّه إلا أن يشغلك عنه شاغل من ظروف الحياة، ثـــم تعود إليه مدفوعا بشغف ولهفة.

أقول: بعد هذه الرحلة مع ظاهرة واحدة في شعره، وهـــي ظـــاهرة " الصمت" ، أستطيع أن ألخص أهم ما توصلت إليه خلالها ، قبـــل أن أضـــع قلمي إيذانا بالفراغ منها ، ولعل أهم ما توصلت إليه هذه الدراسة:

١- يعد الصمت في شعر " أمل دنقل " ثالث المتحاوريْن: المبدع، والمتلقي؛ حيث إنه يمثل عنصرا فاعلا في عملية التأثير ، ومكملا أساســيا فـــي قراءة النص الشعري.

٢- شكّل الصمت في ديون " أوراق الغرفة ٨" صوتا دفينا معبرا عـــن آلام الشاعر حينا ، وعن آماله في مواجهة مصيره حينا آخر.

٣- تنوعت عناوين الديوان بين الصمت ، والصوت ، مما يعكـــس تحقـــق الثنائية المقصودة التي عبر عنهاالشاعر في ديوانه ، وهـــي ثنائيـــة : المقاومة / والاستسلام.

٤- جاء الصمت في ديوان " أوراق الغرفة ٨" منظما للبناء الفني لكثير من القصائد ، وكان لتوظيفه استراتيجية دلالية مؤثرة ؛ جعلتنا نعيد قـــراءة كثير من قصائد هذا الديوان قراءات مختلفة ، يظهر فيها الشاعر مختفيا وراء الصمت أحيانا ، ومحاورا من خلاله في أحايين أخـــرى بصـــمت متكلم.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

٥- لم يؤثر الصمت في عرى القصائد الشعرية عند أمل دنقل ، بل ظلت معانيه مترابطة في مجمل القصائد التي عبر فيها عن تجربتي: المرض / والموت ، وشكل الصمت فيها استثمارا للطاقة الإبداعية عنده.

٦- شكل صمت الإحجام في شعر دنقل دلالة رمزية لما كان يعتمل في نفسه تجاه واقعه ، وقد وظفه دنقل توظيفا رائقا في نقل المشهد النفسي عنده تجاه واقعه الذي عاصره.

٧- لم يأت" الصمت " باستخدام علامات الترقيم ، والحذف مهربا لأمل دنقل ، ولا محاولة لملء النصوص بالنقاط ؛ وإنما جاء مناسبا للتجارب الشعرية التي عبر عنها بوعي وإدراك لأهمية توظيف هذه التقنية الفنية القديمة الجديدة .

٨- يمثل الصمت في شعر أمل دنقل – كما يمثل في شعر غيره من المبدعين – وعيا كبيرا في تغيير استراتيجية الكتابة الشعرية، والانتقال من النص الكامل إلى النص الناقص الذي يعد إبداعا جديدا ؛ فالكلام الصامت أحيانا يكون أبلغ من الكلام الملفوظ المنطوق.

٩- استطاع أمل دنقل أن يوظف تقنية " الصمت " بكل أشكاله: صمت الاكتفاء/ البتر ،صمت الإحجام ، صمت الامتداد الدلالي، الصمت بالاستفهام ، الصمت بالتكثيف الدلالي. وفي كل شكل من هذه الأشكال لم تأت الأبيات الصامتة ،أو الفراغات حشوا أو هروبا إلى تجميل الإيقاع النظري؛ وإنما جاءت لتحقق عنصر التواؤم الشعوري مع القارئ، كما جاءت – في كثير من الأحيان –لتحقق عنصر الدهشة عند القارئ.

وبعد؛ فهذه أبرز النتائج التي ارتأيتها في دراستي المتواضعة هــذه ، والتي لا أدعي فيها تماما، ولا كمالا، ولا عصمة من زلل، وإنما هي محاولة لوضع لبنة في بناء صرحنا الأدبي العريق ، أدعو الله– تعالى – أن أكون قد رُزقت فيها التوفيق .

والله من وراء المقصد،،،

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

ثبت المصادر والمراجع

أولا: القران الكريم .

ثانيا: المصادر والمراجع:

١- أمل دنقل ، الأعمال الشعرية الكاملة ، دار العودة –بيروت ، مكتبة مدبولي بالقاهرة ، ط٢/١٩٨٥.

٢- أمل دنقل –الإنجاز والقيمة " سلسلة أبحاث عن الشاعر ، صدرت في هذا الكتاب عن المجلس الأعلى للثقافة في مصر ،عام ٢٠٠٩م.

٣- أمل دنقل ،التمرد على السائد والمغامرة الجمالية ، شوقي بزيع، مجلة الشرق الأوسط الإلكترونية ، العدد (١٤٤٢٨)، ٣٠ مايو ٢٠١٨م.

٤- اشتغال الصمت في رواية سرادق الحلم والفجيعة: تقاطع القراءة والكتابة ، كريمة تيسوكاي، مجلة الخطاب ، جامعة مولود معمري تيزي وزو- كلية الآداب واللغات، العدد ١٢/٢٠١٢م.

٥- الانزياح الكتابي في الشعر العربي المعاصر (دراسة ونقد)، د/ على أكبر محاسني، ورضا كياني، بحث منشور في مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، جامعة سمنان الإيرانية بالتعاون مع جامعة تشرين السورية، العدد (الثاني عشر) لسنة ٢٠١٣م.

٦- بناء القصيدة عند أمل دنقل ، إعداد /ابتسام محفوظ ، ماجستير في كلية الدراسات العليا –الجامعة الأردنية ،١٩٩٣م.

٧- البنيات الدّالة في شعر أمل دنقل، عبد السلام المساوي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٤م.

٨- بنية القصيدة عند أمل دنقل، ابتسام محفوظ، ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية ١٩٩٣م.

٩- بياض الصّمت وعودة الأيدي.. الشاعر المثخن بالجراح بين يدي العرافة، نجاح إبراهيم، الشبكة العنكبوتية، جريدة الوطن السورية.

١٠- تشكيل صورة الموت في شعر أمل دنقل، جمال محمد عطا، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٣م.

١١- التكثيف خاصية أقصوصية ، البشير الوسلاتي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة القيروان ، عدد ١٤/ ٢٠١٥م.

١٢- التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، د/ بدوي طبانة، ط ٣ – دار المريخ ١٩٨٦م.

١٣- الحداثة في حركة الشعر العربي المعاصر ، خليل الموسى ،مطبعة الجمهورية – دمشق، الأولى ١٩٩١م.

١٤- حوارات أمل دنقل ،إعداد/أنس دنقل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠١٣م.

١٥- خزانة الأدب، للبغدادي ، تح/محمد نبيل طريفي ، إيميل يعقوب ،ط دار الكتب العلمية –بيروت ١٩٩٨م.

١٦- خزانة الأدب وغاية الأرب ،ابن حجة الحموي، تح/ عصام شيتو، ط دار ومكتبة الهلال – بيروت ١٩٨٧م.

١٧- سفر أمل دنقل ،تحرير /عبلة الرويني، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٩م.

١٨- سيمائية البياض والصمت في الشعر العربي الحديث، إلجوة أحمد، منشور في الملتقى الدولي الخامس

١٩- "السيمياء والنص الأدبي " في تونس، د.ت.

٢٠- الصاحبي في فقه اللغة ، ابن فارس ، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، ط١/١٩٩٧م.

٢١- الصمت في نصوص اللا معقول –دراسة تحليلية نقدية ،سافر ة ناجي باسم الميالي، دكتوراه، جامعة بغداد - كلية الفنون الجميلة - قسم الفنون المسرحية،٢٠٠٤م.

٢٢- الصمت وضجيج السواد في القصيدة الجزائرية ، أقطي نوال ، منشور في مجلة كلية الآداب واللغات بجامعة سكرة .عدد(١٤/١٥) لسنة ٢٠١٤م.

٢٣- عن بناء القصيدة العربية الحديثة، على عشري زايد، مكتبة دار العلوم، القاهرة، ط٢/١٩٧٩.

٢٤- قصيدة الرفض –قراءة في شعر أمل دنقل ، جابر عصفور ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط١/٢٠١٧م.

٢٥- القوس العذراء وقراءة التراث، د/محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى ١٩٨٣م.

٢٦- كتابة الصمت ، أمينة الدهري، مجلة البلاغة والنقد الادبي ، عدد ١/ ٢٠١٤م.

٢٧- مدخل إلى دراسة العنوان في الشعر السعودي،عبدالله بن سليم الرشيد ، نادي القصيم الأدبي ،ط الأولى١٤٢٩/٢٠٠٨.

٢٨- معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ،مؤسسة الرسالة.

٢٩- المفارقة في شعر إبراهيم نصر الله، إسراء سلامة مقدادي، دكتوراه، كلية الآداب – جامعة اليرموك –الأردن ٢٠١٧م.

٣٠- وقوفا بها –ثلاث ظواهر في الشعر العربي الحديث" ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ونادي المدينة المنورة الأدبي عام ٢٠١١م.

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١.	ملخص	٥٩٤٣
٢.	Abstract	٥٩٤٤
٣.	مقدّمة:	٥٩٤٥
٤.	التمهيد	٥٩٥١
٥.	تأصيل ظاهرة الصمت في الشعر العربي:	٥٩٥١
٦.	أوراق الغرفة (٨)؛ سجلٌ لشاعر ينتظر الموت.	٥٩٦٢
٧.	المحور الأول: عناوين الديوان بين الصمت والصوت	٥٩٦٥
٨.	المحور الثاني : الصمت وتحقيق التواؤم الشعوري.	٥٩٧١
٩.	المحور الثالث: الصمت والمفارقة التصويرية.	٥٩٨٠
١٠.	المحور الرابع: صمت الإحجام.	٥٩٩١
١١.	المحور الخامس: الاستفهام والصمت.	٥٩٩٧
١٢.	المحور السادس: الصمت والتكثيف الدلالي.	٦٠٠٤
١٣.	الخاتمة	٦٠١٣
١٤.	ثبت المصادر والمراجع	٦٠١٦
١٥.	فهرس الموضوعات	٦٠٢٠